

فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ

بِقِطْعَةٍ
الدكتور عبد الحليم محمود

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على
أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله
وصحبه ومن اتبع هديه إلى يوم الدين

الباب الأول

بين يدي

فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ

اجمال

في بيان الطريق إلى الله

يقول الله تعالى في سورة الزمر - تلك السورة التي أخرج اللساني
عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
يقرونها كل ليلة : -

(قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ
رَحْمَةِ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ)

وقد ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

وما أحب أن لي الدنيا وما فيها بهذه الآية :

« قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة

الله ، الآية ... »

وجاء رجل - كما ورد في مسند الإمام أحمد - إلى رسول الله

صلى الله عليه وسلم . شيخ كبير يدعم على عصاه فقال :

يا رسول الله : إن لي غدرات وفجرات فهل يغفر لي ؟

فقال صلى الله عليه وسلم :

« أأنت تشهد أن لا إله إلا الله ؟

قال : بلى واشهد أنك رسول الله .

قال صلى الله عليه وسلم : قد غفر لك غدراتك وفجراتك ،
إن الله سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة يفتح أبواب مغفرته
ورحمته على مصاربعها ، إنه يرجي عباده حتى لا ييأس أحد من رحمته ،

« إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ » ،

« قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ » .

والجو الإسلامي كله مفعم بفتح أبواب المغفرة والرحمة ...

فالرجح المبرور مثلاً يخرج الإنسان من ذنوبه ، حتى يصبح في
البراءة منها ، كيوم ولدته أمه .

ومن صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه ،
والإسلام يجب ما قبله .

وهذه الآيات الكريمة من سورة الزمر ، تبدأ ببيان رحمة الله
الواسعة ، ومغفرته الشاملة ، ثم تأخذ في رسم الطريق لذلك ،
فيقول الله سبحانه :

« وَأَنْبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ ، وَأَسْلِمُوا لَهُ » ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ
الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ .

والطريق إذن إلى مغفرة الله ورحمته إنما هو التوبة الخالصة النصوح ،
وهي الإجابة إلى الله سبحانه ، أي التوبة في أسنى درجاتها ، وإسلام
الوجه لله سبحانه .

وبعد أن يقرأ الإنسان من ذنوبه ترسم له الآية التي تتلو ذلك
طريقه :

وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ، وَنُ قَبْلَ أَنْ
يَأْتِيَكُمْ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ .

وأحسن ما أنزل إلينا من ربنا هو القرآن الحكيم - إنه :
« يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ »

وهو مهيم على غيره ، مبين للحق فيما يختلف فيه أهل الكتب
الساوية .

ثم يتلو ذلك آيات ثلاث تبين موقف الإنسان الذي لم يتب ،
أو الذي تاب ولم يتبع :

« أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ
كُنْتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ . أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ
الْمُتَّقِينَ .

أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ
الْمُحْسِنِينَ . »

وكل ذلك لا يجدي ، والرد عليه حاسم من قبل الله سبحانه
الحكيم العليم :

« بَلَى : قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ
الْكَافِرِينَ »

ويبين الله حالة هؤلاء يوم القيامة :
« وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ،
أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ » .
لا شك أن فيها مَثْوًى للمتكبرين ، مَثْوًى يختلف ويتفاوت
باختلاف درجاتهم في الكبرياء والمعاصي وتفاوتهم فيها .
ويختم الله سبحانه هذه الآيات التي يرسم المنهج وتبين المآل
والمصير ، ببيان مآل ومصير الذين تابوا واتبعوا أحسن ما أنزل
إليهم من ربهم ، فيقول سبحانه :
« وَيُنَجِّى اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ ، لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ ،
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ .. »

مستولية

يقول الله تعالى :

فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ .

وهذه الآية الكريمة بصيغها رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنها « الجامعة الفاذة »

ذلك أنها عامة شاملة ، وأنها عميقة دقيقة »

ولقد روى الإمام أحمد : عن صعصعة بن معاوية عم الفرزدق أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه هاتين الآيتين . فلما سمعها قال : « حسبي ، لا أبالي أن لا أسمع غيرهما » .

والآيتان تحدّدان المسئولية تحديد آ لا لبس فيه ، والجزاء

مرتّب على المسئولية :

« فإن عمل الشخص الخير فإن جزاءه يكون الخير

أما إذا عمل الشر فالشر جزاؤه

ويقول الله سبحانه :

« وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ

شَيْئًا ، وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ، وَكَفَىٰ بِنَا

حَاسِبِينَ »

والقرآن الكريم في هذا الموضوع يبين أنه :
 « لَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى » .
 « لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى » .
 وقد أبان القرآن الكريم عاقبة عمل الخير ، وعاقبة عمل الشر :
 يقول الله تعالى في جانب الخير :
 « مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً ، وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ » .
 وفي هذه الآية الكريمة .: رتب الله سبحانه : السعادة على
 العمل الصالح الذي يقوم على الإيمان :
 وهذه السعادة التي عبر الله سبحانه عنها بالحياة الطيبة ، إنما هي
 سعادة في هذه الدنيا ، يعقبها سعادة أخروية :
 وذلك ما عبر الله عنه بقوله في الآية :
 « وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ » أي :
 ونتيجة العمل الصالح ليس حتماً أن تكون تالية له :
 فقد تكون في أثناءه :
 فتكون في أثناء العمل طمأنينة نفس ، وراحة بال ، وهناء
 هميم .
 ويذكر الله سبحانه فوايس الخير ، ومبها قانون التقوى فيقول
 تعالى :

«وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ، وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ »

فالتقوى مؤدية إلى الفرج ، والخروج من المأزق والشدائد .
ويذكر الله سبحانه قانون التقوى أيضاً في صورة أخرى فيقول :
«وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ
مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ » .

والتقوى إذاً — وهي عمل صالح خالص لوجه الله — تفيد بالنسبة
لل فرد ، وتفيد بالنسبة للقرى والجماعات :
أما الشر فان له قوانينه أيضاً التي ذكرها الله سبحانه وتعالى ،
يقول سبحانه :

«وَيُلْ لِّلْمُطَفِّفِينَ ، الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ،
وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ » .

والويل : هو الخسران وعدم الفلاح .

إنه يصيب كل مطفف :؛ إنه يصيب الذي يزيد إذا أخذ ،
وينقص إذا أعطى ، ويصيب بالمثل كل مطفف .

إن الموظف مطفف إذا لم يؤد حق الوظيفة على مايلبغى ،
والمدرس مطفف إذا لم يقم بتربية الأمانات التي وكلت إليه كما يجب ،
والعامل مطفف إذا لم يتقن عمله .

وما من شك في أن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه ،
والصانع مطلق إذا لم يوف بما عهد إليه ، والتلميذ مطلق إذا لم
يؤد واجب الدراسة على الوجه الأكمل .
وكل مطلق فجزاؤه الحسران والعذاب .

وبعد :

فقد يتساءل إنسان عن أمور الخير حتى يتبعها ، وعن أمور الشر
حتى يجتنبها ؟
والأمران حددتهما الله تعالى في كتابه الكريم ، وعلى لسان رسوله
صلى الله عليه وسلم في سنته الشريفة .
فاذا اتبع المؤمن بحكم إيمانه ما أمر الله به ، واجتنب ما نهى الله عنه
فقد اعتصم بالله :

« وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هَدَىٰ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ » .

لا يأس

بقول الله تعالى :

« وَهُوَ الَّذِي يُنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ
وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ » . . .

إن من علامات صدق الإيمان الثقة المطلقة في الله سبحانه وتعالى ،
في رحمته ، في رأفته ، في عدالته ، في لطفه ، في عنايته بالمؤمن ،
ورعايته له .

الثقة برحمة الله وفرجه حتى ولو كانت كل الشواهد تدل على أن
لا أمل ، ولو كانت كل الظروف تشعر بالضيق .

والآية الكريمة التي نحن بصددنا تشرح ذلك في إيجاز واضح ،
وفي جمال بليغ ، إنه سبحانه ينزل الغيث في الوقت الذي يظن المحتاجون
أن لا أمل في قطرة ماء ، وينشر رحمته في الأجواء البائسة القانطة ،
فينقلب الجذب خضرة يانعة ، ويصير القحط روضات وجنات ،
وذلك أن من صفاته سبحانه أنه ولي للمؤمن ، حميد في جميع
تصرفاته .

إنه يتولى برحمته من حقق العبودية ، وأفعاله سبحانه حميدة دائماً
لأنه سبحانه حميد .

وهذه الصورة من الإيمان الواثق بفرج الله ورحمته هي التي عبر
عنها سيدنا يعقوب عليه السلام قائلاً لبنيه :

« يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ ، وَلَا تَبَيِّنُوا
مِنْ رُوحِ اللَّهِ ، إِنَّهُ لَا يَبَيِّنُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمَ الْكَافِرُونَ .
وهي التي تجعل المؤمنين يلجأون إلى الله دائماً بالدعاء والتضرع
فيستجيب الله لهم كلما أخلصوا وجههم له :

« إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ . »

« وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ، أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ
إِذَا دَعَانِ ، فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي ، وَلْيُؤْمِنُوا بِي . »

والله الرحيم هو الذي يجيب دعوة المضطر إذا دعاه ، ويكشف
السوء . وصلة الله سبحانه وتعالى بالإنسان صلة رحمة ورأفة :
ورحمته سبحانه وتعالى تتجلى في كل ما أسداه سبحانه لعباده
من هذه النعم المادية التي لا تحصى :

« وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا . »

ولكنها تتجلى في أجمل مظاهرها في قواعد الهداية التي أحياها الله
لعباده ، والتي يدور عليها درجة سموهم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ،
وهي نعمة منبثقة رأساً من رحمة الله : يقول سبحانه :

« وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ . »

ويقول صلوات الله وسلامه عليه :

« إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مَّهْدَاةٌ . »

ورحمة الله في الهداية أجلى عند أولى الأبواب من رحمته في النعم
المادية وذلك أن رحمته في الهداية تليجتها لمن يتبعونها الأمن والطمأنينة
والرضا والسكينة . .

وهذه الأمور هي السعادة التي يسعى لها من وفقهم الله للسير
على هداه .

وهداية الله إذا تبعها الأفراد سعدوا في دنياهم وأخراهم ، وإذا
تبعها الجماعات آمنوا على دمائهم وأموالهم وأعراضهم ، وعاشوا أعزة
بالله وبدينهم .

وهداية الله للأفراد ليست آراء تخطى وتصيب ، وليست قوانين
تظهر التجربة الخطأ فيها والصواب .

ولأنما هي العصمة الكاملة ، لأنها تنزيل من حكيم خبير .

وقد ضمن الله سبحانه وتعالى لكل من يلتزمها أن يشمله برعايته ،
فلا يقع في غمرة الحزن والخوف ، وإنما يسير في نور من توفيق الله ،
وفي أمن من حمايته .

وَأَلَّا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ، الَّذِينَ
آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ، لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ
لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ . . .

وبعد :

فلان الله سبحانه وتعالى سمى نفسه بالرحمن ، وسمى نفسه
بالرحيم ، وأمرنا أن نستفتح أعمالنا : « بسم الله الرحمن الرحيم » ،
وإن من رحمة الإنسان بنفسه أن يلجأ إلى رحمة الله الكبرى ،
وهي هديه سبحانه ، فيستظل في ظل دوحها النضرة وهي القرآن
الكريم فينعم من وراء ذلك بمروضة الله وبمحايته .
« وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ،
وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ . »

التجىء الى الله

يقول الله تعالى :

وَيَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ، وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ،
 إن من أجمل ما يفسر هذه الآية الكريمة الحديث الصحيح الذى
 رواه الإمام مسلم ، والذى كان أبو إدريس الخولاني رضى الله عنه
 يرويه كثيراً ، وكان حينما يرويه يجثو رضى الله عنه على ركبتيه إحتراماً
 وتقديساً للحديث ، ثم يبدأ فى ذكره :

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن الله تبارك وتعالى
 أنه قال :

يا عبادى : إني حرمت الظلم على نفسى ، وجعلته بينكم محرماً ،
 فلا تظالموا .

يا عبادى : كلكم ضال إلا من هديته ، فاستهدوني أهدكم .

يا عبادى : كلكم جائع إلا من أطعمته ، فاستطعموني أطعمكم .

يا عبادى : كلكم عار إلا من كسوته ، فاستكسوني أكسكم .

يا عبادى : إنكم تخطئون بالليل والنهار ، وأنا أغفر الذنوب جميعاً .
 فاستغفروني أغفر لكم .

يا عبادى : إنكم لن تبلغوا ضرى فتضروني ، ولن تبلغوا نفعي
 فتنفعوني .

يا عبادى : لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتق قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك فى ملكى شيئاً .

يا عبادى : لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجع قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك فى ملكى شيئاً .

يا عبادى : لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا فى صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسأله ما نقص ذلك مما عندى إلا كما ينقص المحيط إذا أدخل البحر .

يا عبادى : إنما هى أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفىكم إياها ، فمن وجا خيراً فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه ، وما من شك فى أن الإنسان — فى كل أحواله — فقير إلى الله ؛ إنه فقير إلى الله فقراً مطلقاً فى الناحية المادية على اختلاف أنواعها .

« فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ، أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ، ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ، فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ، وَعَيْنًا وَقَضْبًا ، وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ، وَحَدَائِقَ غُلْبًا ، وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ، مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ . »
« أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ، أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ، لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا . »

« أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِى تَشْرَبُونَ ، أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ ، لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أَجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ . »

والإنسان فقير إلى الله في هدايته الروحية ؛

وإننا لنردد كل يوم مرات عدة ؛

« اهْدِنَا الصِّرَاطَ، الْمُسْتَقِيمَ ، صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ
غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ » .

والذين أنعم الله عليهم هم الذين اتبعوا هديه ، وعملوا به ،
والتزموه .

وهدى الله سبحانه وتعالى يتضمنه القرآن الكريم ، والسنة النبوية
الشريفة .

وإذا كان فقر الإنسان إلى الله في الجانب المادى فقراً مطلقاً فإن
فقره إلى الله في الجانب الروحي فقر مطلق أيضاً .

وبعد ؛

فيقول صاحب كتاب التحبير ؛

« وإغناء الله عباده على قسمين ؛

فأولهم من يغنيه بتنمية أمواله وهم العوام — وهو غنى مجازى — ومنهم
من يغنيه بتصفية أحواله وهم الخواص — وهو الغنى الحقيقي —
لأن احتياج الخلق إلى همة صاحب الحال ، أكثر من احتياجهم إلى
لقمة صاحب المال . .

قد أفلح من زكاهما

يقول الله تعالى :

« لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ
يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ ، وَيُزَكِّيهِمْ ، وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ
وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ » .

وتزكية النفس : هي ما يريد الدين تحقيقه في هذا العالم ، ويدر
تحقيقه لأجل غايات شتى :

أولها : أن تزكية النفس كمال إنساني ، وسمو روحى ، و
بقاء هذا الكمال إلا إذا اتخذ الإنسان الطريق السليم .

والطريق السليم للكمال أو التزكية ليس نتيجة لإختراع بشرى
أو ابتداع ذهنى ، أو رسم إنسانى .

— فالعقول تختلف وتتعارض — وإنما هو من رسم العزيز الحكيم .
وقد رسمه الله سبحانه فى كتابه العزيز وبينه فى حكم تنزيله مفصلاً
واضحاً لا لبس فيه .

وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم مثلاً تطبيقياً لهذا الرسم الإلهى
للتزكية : لقد كان خلقه القرآن .

وإذا كانت تزكية النفس كمالاً إنسانياً بالنسبة للفرد ، فإنها جوهر
العوامل فى إستقرار المجتمع ، وبين ربوع الوطن ، وهذا هدف ثان
من أهداف التزكية .

ومما لا شك فيه أنه كلما زادت نسبة التزكية في مجتمع ما ، كلما كان الأفراد في طمأنينة على دمائهم وأموالهم وأعراضهم ، وكلما كانوا بذلك في محيط من السعادة أكمل وأتم ، وكان مجتمعهم من المجتمعات التي يغبطون عليها .

والهدف الثالث من أهداف التزكية إنما هو النجاة بل النعيم في الآخرة . .
يقول سبحانه :

« جَنَّاتٌ عَدْنٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى » .

وسبيل هذه التزكية الأصل ، وأساسها الراسخ ، إنما هو الإيمان لليقيني الذي يسلم في ثقة القياد إلى الله ، ويلقى بنفسه في ثقة وغبطة تحت الراية الإلهية يستظل بظلها ، ويحملها ، ويرفعها ترفرف على الآخرين لينضوا تحت لوائها : أي أنه يؤمن ويبشر بالإيمان وينشره ، آمراً بالمعروف — أي الخير والفضيلة — ناهياً عن المنكر — أي الشر والرديلة — .

فإذا ما توفر الإيمان والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أدى ذلك إلى صلاح الفرد ، وصلاح المجتمع ، والفوز في الآخرة .

والخطوة الأولى في طريق تحقيق الإيمان تحقيقاً صادقاً ، والخطوة الأولى في سبيل تزكية النفس ، إنما هي الاتجاه إلى الله بالتوبة الخالصة النصوح ، التوبة التي تفصل بين عهدين :

عهد ليس فيه صلح مع الله سبحانه .

وعهد فيه الصلح مع الله تعالى .

والتوبة الخالصة النصوح تضع الإنسان مباشرة في مرتبة البراءة ،
لأنها تغسل الذنوب ، وتطهر النفس ، فتصبح صحيفة الإنسان بيضاء
لأصعة ، معدة لأن تكتب فيها الأعمال الصالحة .

وبعد :

فإن التوبة الخالصة النصوح ثرية بالمعاني ، فهي تتضمن :
العزم المصمم على إخلاص العمل لله ، لأنها تتضمن نفي الشرك
الظاهر والخفي .

وتتضمن :

العزم المصمم على العمل الصالح ، على التقوى ، على طيب المطعم ،
على تحقيق ما يرضى الله ، والابتعاد عما يغيظه .
ومن أجل ذلك كله يقول الله تعالى :

« إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ . »

ان الله يحب التوابين

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم :

« أنا بنى التوبة » .

والواقع أن الطريق إلى الحق الذى أرسل الله به رسوله إنما يبدأ بالتوبة الخالصة النصوح .

ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعيش فى جو من التوبة مستمر ، ولقد روى عنه أنه كان يقول ما معناه :

« يا أيها الناس : توبوا إلى الله واستغفروه فإني أتوب إليه وأستغفره فى اليوم مائة مرة » .

وما كانت توبة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذنب ، وحاشاه صلى الله عليه وسلم وهو المعصوم .

وما كانت توبته صلى الله عليه وسلم عن غفلة ، كلا وحاشاه صلوات الله وسلامه عليه ، وإنما كانت توبته توبة عبادة ، وتوبة عبودية . ومن أجل ذلك كان يكثر منها عبادة وعبودية ، وكان يكثر منها ليكون فى داخل الإطار الذى رسمه الله سبحانه وتعالى بقوله :

« إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ » .

والتوابون : هم الذين يكثرون من التوبة .
وللتوبة الصداقة خصائص :

إنها أولاً تخرج حظ الشيطان من القلب فيصبح طاهراً بريئاً من كل دنس ، وهذا هو المغزى العميق من وراء الجدل والمماراة في حادث شق الصدر ، وما من شك في أن المغزى الذي تأخذه من شق الصدر واستخراج حظ الشيطان منه هو الطهارة الكاملة للصدر .

ونشأ رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ بواكير حياته مطهراً نقياً وأول خصائص التوبة إذا إنما هي الطهارة والبراءة التامة .

وإذا أخذنا شق الصدر بالنسبة للرسول صلى الله عليه وسلم بمثابة التوبة بالنسبة لنا فأننا نقول :

إن من خصائص التوبة حيناً تتكرر في صدق وإخلاص أن تملأ القلب سكينة ، لأن الإنسان بالتوبة الصاحقة يلقى بنفسه في الرحاب الإلهي فيسكن إلى الله وكفى بالله هادياً وكفى بالله نصيراً :

إنه بالتوبة — وهي نوع من اللجأ إلى الله ، والتضرع إليه ، والإنابة — يسلم الأمر إلى الله .

وفي التوبة تسليم ، وفي التوبة توحيد ، وفي التوبة توكل على الله ، فيمتلئ القلب سكينة .

وإذا كانت الأحاديث النبوية الشريفة تقول عن شق الصدر في المرة الأولى :

« إن الملكين استخرجا حظ الشيطان من القلب الشريف »
فإنها تقول عن شق الصدر في المرة الثانية :
« إن الملكين ملأ قلبه الشريف سكينة » .

وتتكرر التوبة فتصل إلى ما عبرت عنه الأحاديث الشريفة عن
شق الصدر الشريف في المرة الثالثة وذلك أن الملكين ملأ القلب
الشريف حكمة .

وكذلك الأمر في التوبة إذا دامت ...

ثم إنها إذا تكررت انتهت بحب الله للعبد المكثّر من التوبة :
« إن الله يحب التوابين » ...

وكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنا بنى التوبة »
معناها في النهاية :

أنا النبي الذي أتيت راسماً للطريق الذي يسير بالإنسان في بخطى
منتظمة رتيبة إلى استخراج حظ الشيطان من القلب ، ثم إلى امتلاء
القلب سكينة ، ثم إلى امتلاء القلب حكمة ، ثم إلى حب
الله سبحانه وتعالى لعبده الثائب .

وأما بعد :

فإن من طرائف العقول المستبصرة ما رواه صاحب كتاب الشامل
وثقله عنه الإمام ابن كثير في تفسيره من أن أعرابياً جاء إلى الضريح
النبوي الشريف وقال : السلام عليك يا رسول الله ، لقد قال الله
في كتابه العزيز :

« ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم
الرسول لوجلوا الله تواباً رحيماً » .

وقد جئتك مستغفراً للذنب ، مستشفعاً بك إلى ربى ، ثم أنشأ
يقول :

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه : فطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم
ثم انصرف الأعرابي ، وكان جالساً بالقرب منه رجل صالح
يسمع كلامه ، فأخذته سنة من النوم فرأى النبی صلی الله عليه وسلم
في النوم يقول له :

« إلتحق بالأعرابي فبشره بأن الله قد غفر له » .

اياك نعبد واياك نستعين

يقول الله تعالى في سورة الفاتحة :

« إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ »

روى الإمام ابن كثير عن بعض السلف قوله :

« إن الفاتحة سر القرآن ، وسرها هذه الكلمة :

« إياك نعبد وإياك نستعين »

فالأول : أى قوله تعالى :

« إياك نعبد » : تبرؤ من الشرك »

والثاني : أى قوله تعالى :

« وإياك نستعين » تبرؤ من الحول والقوة ، وتفويض الأمر إلى

الله عز وجل : وهذا المعنى ورد في كثير من آيات القرآن ...

منها قوله تعالى :

« فاعبده وتوكل عليه » ...

وهذه الكلمة القرآنية قد قدم الله سبحانه وتعالى لها بما يعتبر

أساساً ومبرراً بقوله سبحانه وتعالى :

« وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ

فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ »

والله سبحانه وتعالى يخاطب رسوله ﷺ قائلا له :

« قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا »

ويقول سبحانه ١

« رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا »

وما من شك في أن الآية الكريمة :

« إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ »

تعني عناية واضحة وجوب إخلاص العبادة لله وحده ، ووجوب

قصر الاستعانة على الله وحده .

والقرآن يوضح بما لا مزيد عليه أن الله سبحانه وتعالى هو وحده

المتصرف في الكون : إنه المتصرف في ليسير من أمر الكون وفي
العظيم منه :

« قُلْ اَللّٰهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ . تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ ، وَتَنْزِعُ

الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ ، وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ ، وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ ، بِيَدِكَ

الْخَيْرُ ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ »

وهو سبحانه كما يملك السماوات والأرض وكما يمسكهما أن تزولا ،

« وَلَئِنْ زَالَا إِذْ مَسَّكُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ »

فإنه يملك كل جزئية من جزئيات العالم :

إنه يملك البصر في العين ، ويملك السمع في الأذن كما يملك العين

والأذن ويملك الصحة في الجسم الصحيح ، ويملك استمرار الجاه

عند دوى الجاه ، ولو شاء سبحانه لأزال ذلك كله ومنع

استمراره .

إن قوله تعالى :

« وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ »

عام شامل : ومن أجل ذلك :

فإن العبادة يجب أن تكون خالصة له ، وإن الاستعانة يجب أن تتمحصر له ولقد رسم . سبحانه الوسيلة الصحيحة للاستعانة به المثمرة : إنها إخلاص العبادة له . : فن أحب أن يكون الله سبحانه وتعالى معه بالتوفيق والتيسير والعون ... من أحب أن يستجيب الله له فليحقق العبودية له سبحانه :

فإياك نعبد : وسيلة لتحقيق « وإياك نستعين »

وفي حديث قدسي رواه الامام البخاري توضيح لذلك بقول رسول الله ﷺ فيما رواه عن ربه « من عادي لي وليا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إلى من أداء ما افترضته عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، وإن سألني أعطيته ، ولئن استعاذني لأعيذنه .. »

وهذا الحديث الشريف يبين في وضوح أن أحب شيء يتقرب به الإنسان إلى الله إنما هو أداء ما افترضه الله عليه ، وأن الإكثار من النوافل مع أداء الفرائض وسيلة إلى حب الله سبحانه وتعالى لعبده .

وإذا أحب الله إنساناً كان معه بالتوفيق والهداية والتيسير ، واستجاب له إذا سأل ، وأعاده إذا استعاذ ..

وبعد :

فإن « إياك نعبد وإياك نستعين » هي : تحقيق للإيمان الصحيح
والتقوى الصادقة ، أى أنها الصورة الواقعية لأولياء الله سبحانه .

والله تعالى يقول :

« أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ، وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ
الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ، لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي
الْآخِرَةِ ، لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ »

اهدنا الصراط المستقيم

يقول تعالى في سورة الفاتحة :

« اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ، صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ،
خَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ » .

والصراط المستقيم هو صراط الله الذي رسمه سبحانه في كتابه
العزیز وعلى لسان نبيه الكريم . لقد رسمه الله سبحانه منهجاً ووسيلة ،
ورسمه مبادئ وقواعد ، ورسمه غايات وأهدافاً .

ونحن بهذه الآية الكريمة نتوجه إلى الله سبحانه ، ندعوه أن يهدينا
إلى صراطه المستقيم وذلك أنه لا يهدي إليه إلا هو : يقول سبحانه
في حديث قدسي : « يا عبادي كلکم ضال إلا من هديته ، فاستهدوني
أهدکم » .

إن الهداية من الله سبحانه ، وإن من يهد الله فلا مضل له ، ومن
يضل فلا هادي له وإذا هدى الإنسان إلى الصراط المستقيم فقد فاز
بالحير الذي أحبه الله للإنسان كاملاً غير منقوص .

والصراط المستقيم هو الإيمان الصادق ، الإيمان الاتباعي :
أى الإيمان الذى تتحكم فيه التعاليم الإلهية تحكما تاماً ، ويسير في
إطارها راضياً مستسلماً مسلماً :

« فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ
لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا » .

إن المؤمن لا يؤمن حتى يحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم في
في أمور عقيدته ، وفي أمور أخلاقه ، وفي أمور تشريعه ،
وحتى يتقبل ذلك في سكونة وإطمئنان وغبطة .

ويعصف الله سبحانه المؤمنين الصادقين فيقول :

« إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا ،
وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، أُولَئِكَ هُمُ
الصَّادِقُونَ » .

وهذا الوصف للمؤمنين يتناول وصف الأساس القلبي :

إنه إيمان لا ريب فيه ...

ويتناول الأثر والمظهر :

إنه الجهاد في سبيل ما آمن به : جهاد النفس ، وجهاد المال ،
جهاد بجميع أقطار النفس ، وجهاد بكل ما تملك .

وهذه الآية الكريمة تعتبر مقياساً صادقاً لكل من أراد أن يتبين
حقيقة إيمانه .

والصراط المستقيم غايته ونهايته التي يؤدي إليها إنما هي الله
سبحانه وتعالى ... وقد حددها سبحانه بقوله :

« وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ » .

وليس دون الله منتهى للمؤمن .

وغاية المؤمن — كل غايته — إنما هي الله سبحانه وتعالى ...
ويبتدىء السير إلى الله بالتوبة الخالصة النصوح ، والتوبة الخالصة

النصوح هي أول خطوة على الصراط المستقيم ، والله سبحانه وتعالى يقول :

« وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ »

ويقول سبحانه في حديث قدسي :

يا عبادي : إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول — فيما رواه الإمام البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه : —

« والله إنني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة »

ويقول صلى الله عليه وسلم فيما رواه الإمام مسلم عن الأغر بن يسار رضي الله عنه : —

« يا أيها الناس : توبوا إلى الله واستغفروه ، فإنني أتوب في اليوم مائة مرة » .

والصراط المستقيم إذن : يبدأ بالتوبة الخالصة النصوح ، وليس له دون الله منتهى .

والله سبحانه وتعالى يصف المؤمنين مبيناً خطواتهم في الطريق إلى الله ، أو مبيناً الطريق نفسه في تساميه وتدرجه ، فيقول سبحانه في وصفهم :

« النَّاتِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ
الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ » .

ثم يثتم الله سبحانه وتعالى هذا الوصف بقوله سبحانه :

« وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ » .

وبعد :

فإن قول الله سبحانه وتعالى :

« وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ » .

لا يحده حدود ، ولا يقيدته قيود ، فالهشوى مطلقة :

لأنها بشرى الله لهم بالنجاة والفوز في الدنيا والآخرة .

صراط الله

يقول الله تعالى :

« وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ، وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ
فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ، ذَلِكَُمْ وَصَاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ »
وصراط الله أساسه وجوهره إنما هو التوحيد .

إن التوحيد هو أساس صراط الله الذي لا يقبده زمن ، ولا يحده
مكان ، ومن أجل ذلك كان الأساس في دعوة جميع الأنبياء والرسل :

يقول تعالى :

« وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ
إِلَٰهٍ غَيْرُهُ » ويقول سبحانه :
« وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ
إِلَٰهٍ غَيْرُهُ » .

ويعمم الله سبحانه وتعالى الحكم تعمياً ، ويجعله شاملاً شمولاً
مطلقاً فيقول :

« وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ
لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ »

وهكذا كان التوحيد دعوة جميع الأنبياء والرسل .

والتوحيد الذى هو جوهر الرسالات إنما هو التوحيد الشامل
العام ...

أى توحيد الله سبحانه بالإلهية ، وتوحيده بالربوبية ، وتوحيده
بالسيطرة والهيمنة على كل صغيرة وكبيرة :-

« قُلْ اَللّٰهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ ، تُؤْتِى الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ ، وَتَنْزِعُ
الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ ، وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ ، وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ ، بِيَدِكَ
الْخَيْرُ اِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » .

ولا يتأتى — والله مالك الملك — أن يسأل الإنسان غير الله ،
أو أن يستعين بغيره ، وشعار المؤمنين الصادقين هو :
« اِيَّاكَ نَعْبُدُ وَاِيَّاكَ نَسْتَعِينُ » .

إن شعارهم :

« إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ ، وَاعْلَمْ
ر — بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ
مَوَّأَى عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا
بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ » ...

ويوضح هذا الإمام القشيري فيقول :

إن الله تعالى مغن عباده بعضهم عن بعض ، لأن الخوائج — على
الحقيقة — لا تكون إلا إليه ، فالخلق لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ...
فكيف يملك ذلك لغيره ؟ ...

ولهذا قيل :

« تعلق الخلق بالخلق تعلق المسجون بالمسجون » وقيل :
« من رفع حاجته إلى الله تعالى ، ثم رجع عن حاجته إليه إلى
غيره ، ابتلاه بالحاجة إلى الخلق ثم نزع رحمته من قلوبهم » ...

ومعنى التوحيد الحقيقي في النهاية :

أن يلتقي الإنسان بقياده في استسلام مطلق إلى الله سبحانه وتعالى ،
وأن يخلص له وجهه إخلاصاً لا رياء فيه .

ولقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإيمان فقال :
« إله الإخلاص » ...

ويقول سبحانه :

« أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ » .

« فكل ما ليس خالصاً لوجهه لا يثيب عليه ، ولا يقبله » ...

ولقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الرياء على اختلاف
صوره شرك يحبط العمل ...

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم — فيما رواه الإمام أحمد —

« إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الشَّرْكَ الْأَصْغَرُ » قالوا :

وما الشرك الأصغر يا رسول الله ؟ قال : الرياء .

يقول الله عز وجل إذا جزى الناس بأعمالهم :

« اذهبوا إلى الدين كنتم تراءون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء »

والرياء مجموعة من الآثام تنزل بالإنسان إلى مستوى من الأخلاق غير كريم ، ولقد حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم منه في مختلف صورته ، من ذلك ما قاله صلى الله عليه وسلم — فيما رواه البيهقي : —

« من صام يرأى فقد أشرك ، ومن صلى يرأى فقد أشرك ، ومن تصدق يرأى فقد أشرك »

وبعد :

فإن كل عمل لا يراد به وجه الله شرك ، يتنافى مع التوحيد ، لا يتقبله الله ، ولا يثيب عليه .

والفصل في هذا هو ما حدث به رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الشريف الذي يعتبر مبدأ هاماً من مبادئ الإسلام :
روى البخاري رضي الله عنه بسنده عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى ، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهَاجَرَتْهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا ، أَوْ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا ، فَهَاجَرَتْهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ .

وكفى بربك هاديا ونصيرا

يقول الله تعالى :

« أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ، وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ،
وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ . وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ ،
أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ . »

إن الذى لا شك فيه ولا مرأه هو : أن الله سبحانه كاف عبده
الذى حقق العبودية له سبحانه ، والقرآن الكريم يستفيض فى بيان
قوانين الله سبحانه وتعالى فى كفاية الله لعبده الذى استجاب له سبحانه
— فى أمور الدنيا بالمشى فى مناكبها ، والسعى فيها ، والأكل من رزق
الله ، وبالإنتشار فى الأرض ، وابتغاء فضل الله ، وبتسخير ما سخر
الله للإنسان من عوالمه الكثيرة .

ويستفيض القرآن مع ذلك — بل ومن قبل ذلك ومن بعده —
فى بيان قوانين الله لكفاية عبده الذى حقق العبودية فى صلته به
سبحانه .

وما من شك فى أن الصلة بالله على بساط العبودية ، هى أساس
كل خير ، ومصدر كل توفيق ، وهى مناط السعادة فى الدنيا والآخرة .
وإن الخطأ البين الذى يقع بعض الناس فيه عادة إنما هو ظنهم
أن ثمار العبودية الصادقة إنما تتعلق بالآخرة فحسب ، وما من شك
فى أن العبودية الصادقة ثرية بالخير فى الآخرة وثمارها شبيهة فيها ، ..

وما من ريب في أن الآخرة خير وأبقى ، وفي أن أعظم الخيرات
— على الإطلاق — هي أن يقابل الإنسان ربه وهو عنه راض :

« يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ »

« يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ، إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ

سَلِيمٍ »

« يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ، وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ »

ومع ذلك :

فإن ثمار العبودية الصادقة تتحقق في الدنيا قبل الآخرة ،
وتبدأ العبودية الصادقة بالاستغفار :: فإذا ما أكثر الإنسان من
الاستغفار كانت سعة الرزق :: يقول سبحانه على لسان نبيه نوح
عليه السلام :

« اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ، يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ
مِدْرَارًا ، وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ ، وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ
لَكُمْ أَنْهَارًا . »

وإذا قرن الاستغفار بالتوبة زاد ذلك في قوة الإنسان بل والجماعة
— فضلا عن زيادته في الرزق — يقول الله تعالى على لسان نبيه هود
عليه السلام :

« وَيَأْقِومِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ
عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ . »

على أن في كثرة الاستغفار أمان من العذاب في هذه الحياة الدنيا .. يقول تعالى :

« وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ، وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ » .

وإذا ما أكثر الإنسان من التوبة — والتوبة تشرع إلى الله وإنايته إليه — فإن الله يحبه .

« إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ »

فإذا التزم الإنسان التقوى فإن الله سبحانه وتعالى يجعل له :
من كل ضيق فرجاً ، ومن كل هم مخرجاً ، ويرزقه من حيث لا يحتسب .

ويقول سبحانه :

« وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ »

فإذا ما توكل الإنسان على الله التوكل الصادق فإن الله حسبه .

يقول سبحانه :

« وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ »

فإذا ما كان الله حسبه فإن كل من دون الله لا قيمة له .. وكل تخويف بغيره لا وزن له ..

فإن الله هو وحده صاحب التصريف .. فمن يضلله فما له من هاد ،
ومن يهده فما له من مفضل : : وذلك أنه سبحانه عزيز لا غالب له ،
ولا منافس ، ولا منازع : : وهو يهمل ولا يهمل الذين يفسدون في
الأرض ، ومجاهرون الله بالمعصية :

إنه سبحانه ينتقم منهم :

« أليس الله بعزيز ذى انتقام » :

وبعد : فيقول الله تعالى :

« قل اللهم مالك الملك ، تؤتي الملك من تشاء ، وتنزع الملك ممن
تشاء ، وتعز من تشاء ، وتذل من تشاء ، بيدك الخير ، إنك على كل
شئ قدير » :

الباب الثاني
فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ

فاذكروني أذكركم :

أخرج الإمام البخاري — رضي الله عنه — من حديث قتادة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما يرويه عن ربه — قال : قال الله عز وجل :

« يا ابن آدم ، إن ذكرني في نفسك ذكرتني في نفسي ، وإن ذكرني في ملائكتي ذكرتني في ملائكتي ، وإن دنوت مني شبرا دنوت منك ذراعاً ، وإن دنوت مني ذراعاً دنوت منك باعاً ، وإن أتيتني تمشي أتيتك هرولة » ..

وعن أبي هريرة رضي الله عنه — فيما رواه الإمام أحمد وغير واحد من أصحاب الصحاح — قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يقول الله تعالى :

« أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه إذا ذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملائكتي ذكرتني في ملائكتي ، وإن تقرب إلى شبرا تقربت إليه ذراعاً ، وإن تقرب إلى ذراعاً تقربت إليه باعاً ، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة ..

وزاد الإمام أحمد في آخره :

قال قتادة : والله أسرع بالمغفرة ..

وروى الطبري بإسناد حسن ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : قال الله جل ذكره :

« لا يذكروني عبد في نفسي إلا ذكرتني في ملائكتي ، ولا يذكروني في ملائكتي إلا ذكرتني في ملائكتي .. »

فأذكروني أذكركم :

معنى « اذكروني » : تدلّوا لجلالى .

أذكركم : أكشف الحجب عنكم ، وأفيض عليكم رحمتى
وإحسانى ، وأحبكم ، وأرفع ذكركم فى الملا الأعلى ...
لما فى الحديث :

« من تقرب إلى شبرا تقرب منه ذراعاً » (١) .

وفى الحديث أيضا :

« إن الله إذا أحب عبداً نادى جبريل فقال له : يا جبريل : إننى
أحب فلانا فأحبه ، فيحبه جبريل ... ثم ينادى فى السماء : إن الله يحب
فلانا فأحبوه ، فيحبه أهل السماء ، ثم يوضع له القبول فى الأرض » (٢)
وهذا من جملة الثمرات المعجزة ...

وأما الموجلة فروية وجه ربه الكريم ، ورفع الدرجات ، وغير
ذلك : (٣)

(١) البخارى .

(٢) مسلم عن أبى هريرة .

(٣) حاشية الصاوى على الجلالين .

فأذكروني أذكركم :

ولقد حث الله سبحانه وتعالى على الذكر قال سبحانه :
« واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول
بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين » :
وحث الله سبحانه وتعالى على الذكر الكثير فقال أمراً :
« يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً ، وسبحوه بكرة
وأصيلاً »

ووصف الله سبحانه وتعالى أصحاب العقول المستنيرة التي رضى
عنها لأنها امتدت بهديه فقال سبحانه مادحاً لهم :
« إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات
لأولي الأبصار » .

الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق
السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه ففنا عذاب
النار .

ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته وما للظالمين من أنصار ،
وبنا إننا سمعنا متادياً ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر
لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار .

ربنا وآتانا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف
الميعاد .

ويصف الله سبحانه وتعالى المؤمنين الصادقين بصفات يرضى
عنها اختتمها بقوله :

« والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرًا عظيماً » .

والأمر بالذكر كثير في القرآن الكريم من ذلك قوله تعالى :
« فإذا قضيتُم الصلاة فاذكروا الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم » .
ويقول ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية :
« أى بالليل والنهار ، فى البر والبحر ، والسفر والحضر ،
والغنى والفقر ، والمرضى والصحة ، والسر والعلانية » ...
ويقول الله سبحانه وتعالى :
« ولذكر الله أكبر » .

ويقول ابن عباس رضي الله عنهما عن هذه الكلمة القرآنية
الكريمة :

إن لها وجهان :

أحدهما : أن ذكر الله تعالى لكم أعظم من ذكركم إياه .
والآخر : أن ذكر الله أعظم من كل عبادة سواه .

والواقع :

أن الإنسان إذا تدبر الآيات القرآنية الواردة فى الذكر فإنه
يجدها تستغرق الأوقات والحالات ...

فأينما كان الإنسان وكيفما كان عليه دائماً أن يكون ذاكراً لله
سبحانه وتعالى .

ولا يشغل ذكر الله سبحانه وتعالى الإنسان عن عمله : ولقد كان الكثير من كبار الصحابة من كبار التجار ولم يمنعهم ذلك عن أن يكونوا من كبار الذاكرين .

ولقد كان الكثير من كبار الذاكرين أصحاب حرف ومهن . . .
 لقد كان منهم : « الخوَّاص » ، « الخِرَّاز » ، و « الصَّبَّاغ »
 « والحصرى » ، و « الصيرفى » ، « والقفَّال » ، « والحصَّاد » ،
 « والحراس » ، و « الفراء » ، و « المقرئ » . فضلا عن
 اشتغالهم الذى لا يفتر بتعليم المسلمين وهدايتهم .
 « فاذكرونى أذكركم »

فضل الذكر :

ولقد تحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيراً عن الذكر
 حاثاً ومادحاً وأمرأ :

عن أبى هريرة رضى الله عنه — فيما رواه الإمام مسلم — قال :
 كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير فى طريق مكة ، فر
 على جبل يقال له « جمدان » فقال :

سيروا : هذا جمدان سبق المفردون

قالوا : وما المفردون يا رسول الله ؟

قال : الذاكرون الله كثيراً .

وذكر هذا الحديث الترمذى وفيه :

يا رسول الله : وما المفردون ؟

قال : المسهرون بذكر الله ، يضع الذكر عنهم أثقالهم فيأتوا الله يوم القيامة خفافاً .

وكلمة « المفردون » — كما يذكر صاحب كتاب الترغيب والترهيب — بفتح الفاء وكسر الراء .

و« المسهرون » — بفتح التاءين هم المولعون بالذكر ، المداوموا عليه ، لا يبالون ما قيل فيهم ، ولا ما فعل بهم (١) .

وعن أبي موسى رضى الله عنه — فيما رواه البخارى — قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« مثل الذى يذكر الله « ربه » ، والذى لا يذكر الله ، مثل الحى والميت . »

وعن عبد الله بن بسر رضى الله عنه — فيما رواه الحاكم باسناد صحيح — أن رجلاً قال :

يا رسول الله : إن شرائع الإسلام قد كثرت على فأخبرني بشيء أتشبث به ، قال :

« لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله » .

ويحدث الصحابي الجليل « معاذ بن جبل » رضى الله عنه فيقول — فيما رواه الطبرانى وغيره : —

(١) الترغيب والترهيب .

« إن آخر كلام فارقت عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
أن قلت :

أى الأعمال أحب إلى الله
قال :

« أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله »
ومن أجل الوصايا التى أوصى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأنفسها — ووصاياه صلوات الله وسلامه عليه كلها جميلة نفيسة —
وصيته لأم أنس (١) ، حينما قالت له :
« يا رسول الله ، أوصنى » ...

قال :

« أهجري المعاصي ، فإنها أفضل الهجرة ، وحافظى على الفرائض
فإنها أفضل الجهاد ، وأكثرى من ذكر الله ، فإنك لا تأتين بشيء
أحب إليه من كثرة ذكره »

وإن من السبعة الذين يظلمهم الله بظلمه يوم لا ظل إلا ظله :
« رجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه من خشية الله »
وروى البيهقي فى الشعب من حديث عمر بن الخطاب أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال : قال الله عز وجل :
« ومن شغله ذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل مما أعطى السائلين »

(١) قال الطبرانى : أم أنس هذه — معنى الثانية — لمست أم أنس بن مالك .

قال الإمام الصادق :

« وينبغي للإنسان أن يذكر الله كثيراً ، ۞ لقوله تعالى :
« والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجراً
عظيماً » ۞

ولا يلتفت لواش ولا رقيب ، لقول السيد الحفني ، خطاها
للعارف بالله تعالى أستاذنا الدردير ،

يا مبتغي طرق أهل الله والتسليك
دع عنك أهل الهوى تسلم من التشكيك
إن « اذكروني » لرد المعترض يكفيك
فاجعل سلاف الجلالة دائماً في فيك

أذكروني أذكركم

الاجتماع على الذكر :

روى الإمام مسلم ، رضى الله عنه ، عن معاوية رضى الله عنه ،
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على حلقة من أصحابه فقال :
ما أجلسكم ؟ قالوا :

جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام ومن به علينا
قال : آ الله ما أجلسكم إلا ذلك ؟

قالوا : آ الله ما أجلسنا إلا ذلك
قال : أما إني لم استخلفكم شهة لكم ، ولكنه أثنى جبرائيل
فأخبرني أن الله عز وجل يباهي بكم الملائكة .
وعن أنس بن مالك رضى الله عنه — فيما رواه الترمذي وحسنه —
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا » ... قالوا :
وما رياض الجنة ؟

قال : خلق الذكر .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : « إن لله ملائكة يطوفون في الطرق — يلمسون أهل
الذكر — فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تنادوا :

« هلموا إلى حاجتكم » فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا .

قال : فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم ... فما يقول عباده ؟

قال : يقولون : يسبحونك ، ويكبرونك ، ويحمدونك
ويمجدونك ؟

قال : فيقول : هل رأوني ؟

قال : يقولون : لا والله يارب ما رأوك .

قال : فيقول : كيف لو رأوني ؟

قال : يقولون : لو رأوك كانوا أشد لك عبادة ، وأشد
تمجيداً ، وأكثر لك تسبيحاً ؟

قال : فيقول : فما يسألوني ؟

قال : يقولون : يسألونك الجنة .

قال : فيقول : وهل رأوها ؟

قال : يقولون : لا والله يارب ما رأوها .

قال : فيقول : فكيف بهم لو رأوها ؟

قال : يقولون : لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصاً
وأشد لها طلباً ، وأعظم فيها رغبة .

قال : فممن يتعوذون ؟

قال : يقولون : يتعوذون من النار .

قال : فيقول : وهل رأوها ؟

قال : يقولون : لا والله ما رأوها .

قال : فيقول : فكيف لو رأوها ؟

قال : يقولون : لو رأوها كانوا أشد منها فراراً ، وأشد لها
خافة .

قال : فيقول : أشهدكم أني قد غفرت لهم .

قال : يقول ملك من الملائكة : فيهم فلان ليس منهم
إنما جاء الحاجة .

قال : هم القوم لا يشقى بهم جليسهم^(١) .

وفي رواية مسلم : فيقول :

« وله غفرت ، هم القوم لا يشقى بهم جليسهم »

وعن أبي الدرداء ، رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم :

« ليعتن الله أقواماً يوم القيامة في وجوههم النور على منابر
الأول ، تعبطهم الناس ، ليسوا بأنبياء ولا شهداء » .

قال : فجئنا أعرابي على ركبته فقال :

يا رسول الله : صفهم لنا نعرفهم .

قال : هم المتحابون في سبيل الله ، من قبائل شتى ، وبلاد
يجمعون على ذكر الله يذكرون « (١) » .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه ، عن رسول الله صلي
عليه وسلم قال :

« ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله عز وجل ، لا يريدون
إلا وجهه ، إلا ناداهم مناد من السماء : أن قوموا مغفوراً لـ
قد بدلت سيئاتكم حسنات » (٢) .

وعن أبي هريرة ، وأبي سعيد رضي الله عنهما ، أنهما
هلي رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :

« لا يقعد قوم يذكرون الله إلا حفهم الملائكة ، وغشيتهم الرزق
ونزلت عليهم السكينة ، وذكرهم الله فيمن عنده » (٣) .

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال :

قلت : يا رسول الله : ما غنيمة مجالس الذكر ؟

قال : غنيمة مجالس الذكر الجنة (٤) .

(١) رواه الطبراني بإسناد حسن .

(٢) رواه أحمد .

(٣) رواه مسلم والترمذي وابن ماجه .

(٤) رواه أحمد بإسناد حسن .

ويقول الإمام النووي :

« اعلم أنه كما يستحب الذكر يستحب الجلوس في حلق أهله ،
وقد تظاهرت الأدلة على ذلك ، وسترده في مواضعها إن شاء الله ،
ويكنى في ذلك حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا ، قالوا : وما رياض الجنة
رسول الله ؟ ... »

قال : « حلق الذكر » فإن الله تعالى سيارات من الملائكة يطلبون
حلق الذكر ، فإذا أتوا عليهم حفوا بهم » ... »

وروي في صحيح مسلم عن معاوية رضي الله عنه أنه قال :

« خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على حلقة من أصحابه ،
فقال :

ما أجلسكم ؟

قالوا :

« جلسنا نذكر الله تعالى ونحمده على ما هدانا للإسلام ومن به علينا »

قال :

« ما أجلسكم إلا ذاك ؟ أما إنى لم استخلفكم ثمرة لكم ، ولكنه
أنانى جبريل فأخبرني أن الله تعالى يباهى بكم الملائكة » ... »

وفي صحيح مسلم أيضاً عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله
عنهما أنهما شهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :

« لا يقعد قوم يذكرون الله تعالى ، إلا حفتهم الملائكة ، وذه
الرحمة ، ونزلت عليهم السكينة ، وذكرهم الله فيمن عنده » ،

وقال الإمام الصاوي :

(وהל الأفضل الذكر مع الناس ، أو الذكر في خلوة ؟)

والحق التفصيل : وهو :

إن كان الإنسان ينشط وحده ، ولم يكن مدعوا من الله ،
الناس فالخلوة في حقه أفضل ، وإلا فذكره مع الناس أفضل :

إما لينشط ، أو لتقتدى الناس به •

نسأل الله أن يجعلنا من أهل ذكره (١) •

فأذكروني أذكركم :

أبواب الذكر :

ومن المعروف : أن الذكر على ضربين :

ذكر اللسان •

وذكر القلب •

فذكر اللسان : به يصل العبد إلى استدامة ذكر القلب :

والتأثير للذكر القلب :

يقول الإمام القشيري :

« فإذا كان العبد ذا كراً بلسانه وقلبه ، فهو الكامل في وصله في حال سلوكه » :

ويقول الإمام الصاوي :

« ولا تترك الذكر لعدم حضورك مع الله فيه ، فربما ذكر به هفلة يجر الذكر مع حضور ، لأنهم شهوا الذكر بقدر الزناد فلا يترك الإنسان القدح لعدم إيقاده من أول مرة مثلاً ، بل يكم حتى يوقد ، فإذا ولع القلب نارت الأعضاء فلا يقدر الشيطان على وسوسته ، لقوله تعالى :

« إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا »

ونحفت العبادة على الأعضاء ، فلا يكون على الشخص كلفة فيها : قال العارف :

إذا رفع الحجاب فلا ملالة بتوفيق الإله ولا مشقة

ويكنى الذاكر من الشرف ، قول الله تعالى في الحديث القدسي :

« أنا جليس من ذكرني » (١) وقوله تعالى :

« وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » .

ويقول الإمام النووي :

الذكر يكون بالقلب ويكون باللسان :

والأفضل منه ما كان بالقلب واللسان جميعاً ، فإن اقتصر أحدهما فالقلب أفضل ، ثم لا ينبغي أن يترك الذكر باللسان مع القلب خوفاً من أن يظن به الرياء ، بل يذكر بهما جميعاً ويقصد وجه الله تعالى ، وقد قدمنا عن الفضيل رحمه الله :

« أن ترك العمل لأجل الناس رياء » .

ولو فتح الإنسان عليه باب ملاحظة الناس ، والاحتراز ، تطرق ظنونهم الباطلة ، لانسحب عليه أكثر أبواب الخير ، وضيع علم ، وليس هذا طريقة العارفين .

(١) الحاكم بمعناه ، مستدرك صحيح وزوي أحمد وابن ماجة مسند صحيح لها مع عهدي ما ذكرني ... إلخ .

(٢) الأنفال ، آية ٥٤ ، حاشية الصادي على التذليل ، ٢ ، ص ٦٣ .

فاذكروني أذكركم :

أوقات الذكر :

وليس للذكر وقت معين :

وذلك أن جميع الأوقات صالحة للذكر ، يقول تعالى :

« وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً (يخلف كل واحد الآخر) لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذْكُرْ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا » .

لقد جعل الله سبحانه جميع آفاء الليل والنهار صالحة للذكر ، يقول ابن عباس في قوله تعالى :

« فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا هَلِيًّا جُنُوبَكُمْ » .

يقول ، أي : بالليل والنهار ، في البر والبحر ، والسفر والحضر ، والغنى والفقر ، والمرض والصحة ، والسر والعلانية .

والآيات في القرآن كثيرة تبين أن ذكر الله مستحب في جميع الأماكن والأزمنة .

ويقول صاحب الرسالة القشيرية في ذلك :

« ومن خصائص الذكر : أنه غير موقت ، بل ما من وقت من الأوقات إلا والعبد مأمور بذكر الله ، إما فرضاً ، وإما ندباً ، والصلاة : وإن كانت أشرف العبادات فقد لا تجوز في بعض الأوقات ، والذكر بالقلب مستدام في عموم الحالات . »

قال الله تعالى :

« الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ، وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ » .

كل هذا أدى بالإمام القشيري إلى أن يقول معبراً عن الصادق :

« والذكر ركن قوي في طريق الحق سبحانه وتعالى ، بل العمدة في هذا الطريق ، ولا يصل أحد إلى الله إلا بدوام الذكر »

الباب الثالث
صَيِّغُ الذِّكْرِ

الفصل الأول الاستغفار

الاستغفار :

ويبتدىء الذكر بالاستغفار :

وعن الاستغفار يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه
عبد الله بن عباس رضي الله عنهما :

« من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجاً ، ومن كل
ضيق مخرجاً ، وورقه من حيث لا يحتسب » (١) .

ومن صيغ الاستغفار :

« رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ

مِنَ الْخَاسِرِينَ » (٢)

ومنها :

« لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ » .

ومنها :

« اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلماً كثيراً ، ولا يغفر الذنوب إلا أنت ،
فاغفر لي مغفرة من عندك ، وارحمني ، إنك أنت الغفور الرحيم » .

(١) رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه والحاكم والبيهقي .

(٢) الأعراف - آية ٢٣ .

ويروى علقمة ويروى الأسود ، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، أنه قال :

(في كتاب الله عز وجل آيتان ، ما أذنب عبد ذنباً ففر واستغفر الله عز وجل إلا غفر الله تعالى له ؛ قوله تعالى :

« وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً ، أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ، ذَكَرُوا اللَّهَ ، فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ ، وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ ذُنُوبَهُ إِلَّا اللَّهُ ، وَيُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ » .

وقوله عز وجل :

« وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ الْغُفْرَانَ رَحِيمًا » .

ولقد قال صلى الله عليه وسلم في شأن الاستغفار الخالص « من أكثر من الاستغفار جعل الله عز وجل له من كل فرجاً ، ومن كل ضيق مخرجاً ، ورزقه من حيث لا يحتسب » . وهذا الحديث الشريف يسير في إنسجام مع قوله تعالى :

« اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ،

يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا .

وَيُمِدِّدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ ، وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ،

ومن دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الجميل :
 « اللهم اجعلني من الذين إذا أحسنوا استبشروا ، وإذا أساءوا
 استغفروا » .

وسيد الاستغفار هو — كما أخبر الصادق المصدوق — صلوات الله
 وسلامه عليه :

« اللهم أنت ربي ، لا إله إلا أنت ، خلقتني ، وأنا عبدك ،
 وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ،
 أبوء لك بنعمتك علي ، وأبوء بذنبي ، فاغفر لي ، فإنه لا يغفر الذنوب
 إلا أنت » .

ويروى الإمام القزالي عن بعض العلماء أنه قال :
 « العبد بين ذنب ونعمة ، لا يصلحهما إلا الاستغفار والحمد »
 ويروى عن قتادة رحمه الله قوله :

« القرآن يذكركم على ذنوبكم وهداكم ، أما دأؤكم فالذنوب ،
 ولما دأؤكم فالاستغفار » .

الفصل الثاني القرآن

قراءة القرآن

ومن الذكر :

عن عبد الله بن مسعود ، رضى الله عنه ، فيما رواه الترمذى رحمه الله ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول : « آلم حرف ، ولكن ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف » .
وفى رواه الإمام مسلم بسنده ، عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله ، يتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم ، إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة وحفهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده » .

ولقد وردت أحاديث صحيحة وحسنة في فضل سور وآيات معينة من القرآن الكريم : نذكر بعضها ونحن نعلم أن أحاديث كثيرة قد ذكرت في فضل سور القرآن وليست صحيحة ، ومن أجل ذلك تحررنا هنا الأحاديث التي رويت في كتب الصحاح ، أو بإسناد صحيحة أو حسنة .

الفاتحة

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
مخرج على أبي بن كعب فقال : « يا أبي » وهو يصلي ، فالتفت أبي
فلم يجبه ، وصلى أبي فخفف ، ثم انصرف إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال :

« السلام عليك يا رسول الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« وعليك السلام ، ما منعك يا أبي أن تجيبني إذ دعوتك ؟

فقال : يا رسول الله ، إني كنت في الصلاة .

قال : فلم تجد فيها أوحى الله إلى أن : « استجيبوا لله وللرسول

إذا دعاكم لما يحيبكم » .

قال : بلى ، ولا أعود إن شاء الله .

قال : « أحب أن أعلمك سورة لم ينزل في التوراة ، ولا في

الإنجيل ، ولا في الزبور ، ولا في الفرقان مثلها ؟

قال : نعم ، يا رسول الله .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كيف تقرأ في الصلاة ؟

قال : « تقرأ أم القرآن .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« والذي نفسي بيده ، ما أنزل الله في التوراة ، ولا في الإنجيل ،

ولا في الزبور ، ولا في الفرقان مثلها ، وإنها سبع من المثاني والقرآن العظيم الذي أعطيته (١) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى عليه وسلم يقول : قال الله تعالى :

« قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدى ما سأل » .

وفي رواية : « فنصفها لي ونصفها لعبدى » .

فإذا قال العبد : « الحمد لله رب العالمين » قال الله : حمد عبدي ، فإذا قال : « الرحمن الرحيم » قال : أثني على عبدي ، فإذا قال : « مالك يوم الدين » قال : مجتدني عبدي ، فإذا قال : « إياك نعبد وإياك نستعين » قال : هذا بيني وبين عبدي ولعبدى ما سأل ،

فإذا قال : « إهدنا الصراط المستقيم » صراط الذين أنعمت عليهم ، غير المغضوب عليهم ولا الضالين » قال : هذا لعبدي ولعبدى ما سأل (٢)

الفاتحة وخواتيم سورة البقرة

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال :

« بينما جبريل عليه السلام قاعد عند النبي صلى الله عليه وسلم سمع نقيضا من فوقه فرفع رأسه ، فقال : هذا باب من السماء فتح

(١) رواه الترمذي . وقال : حديث حسن صحيح . ورواه ابن هزيمة وإدريس بن أبي يحيى ، والحاكم بإختصار عن أبي هريرة عن أبي ، وقال الحاكم صحيح .

(٢) رواه مسلم .

لم يفتح قط إلا اليوم ، فنزل منه ملك ، فقال : هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم ، فسلم وقال :
« أبشر بنورين أُوتيتهما ، لم يُوْتِيهما نبي قبلك :
فاتحة الكتاب ، وخواتيم سورة البقرة ، لن تقرأ بحرف منهما
إلا أُعطيته (١) » .

ومما ورد في فضل الفاتحة ما رواه البخاري بسنده عن أبي سعيد
الخدري رضي الله عنه قال :

« كنا في مسير لنا ، فنزلنا ، فجاءت جارية فقالت : إن سيد الحمى
سليم ، وإن نفرنا غيب ، فهل منكم راقٍ ، فقام معها رجل ما كنا
نأمنه (٢) برقية فرقاها فبرأ ، فأمر له بثلاثين شاة ، وسقانا لبنا ، فلما
رجع قلنا له : أكننت تحسن رقية أو كنت ترقى ؟
قال : لا ، ما رقيت إلا بأم الكتاب » .

قلنا : لا تحدثوا شيئا حتى نأتى أو نسأل النبي صلى الله عليه وسلم ،
فلما قدمنا المدينة ذكرناه للنبي صلى الله عليه وسلم فقال :

« وما كان يدريه أنها رقية ، أقسموا واضربوا لي بسهم (٣) » .
وروى مسلم في صحيحه ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج (٤) ثلاثا
غير تمام » .

(١) رواه مسلم والنسائي والحاكم ، وقال صحيح على شرطهما ، « النقيض »
بالجملة : هو الصوت .

(٢) تذكيره . (٣) الخساري . (٤) خداج : ناقصة .

سورتي البقرة وآل عمران

عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال : سمعت رسول
صلى الله عليه وسلم يقول : « اقرءوا القرآن » فإنه يأتي يوم القيامة
شقيعا لأصحابه .

اقرأوا الزهراوين : البقرة وسورة آل عمران ، فإنهما يأتيان
يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان — أو كأنهما فرقان من
صواف ، تحاجان عن أصحابهما ، اقرءوا سورة البقرة ، فإن أخذ
بركة ، وتركها حسرة ، ولا تستطيعها البطلة (١) .

الغيايتان : مثنى غياية : وهي كل شيء أظلم الإنسان فوق رأيه
كالسحابة .

قال معاوية بن سلام : بلغني أن البطلة السحرة .

وعن أسيد بن حفيد — رضي الله عنه — أنه قال :

« يا رسول الله : بينما أنا أقرأ الليلة سورة البقرة إذ سمعت ورج
من خلفي ، فظننت أن فرسي انطلق ، فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم :

« اقرأ أبا عتيك » فالتفت ، فإذا مثل المصباح مدلي بين السماء
والأرض ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« اقرأ أبا عتيك » فقال : يا رسول الله : فما استطعت

أمضي . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

تلك الملائكة تنزلت لقراءة سورة البقرة ، أما إنك لو مضيت
لرايت العجائب (١) .

وروى البيهقي في شعب الإيمان - عن الصالحين - بسند صحيح -
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« من قرأ سورة البقرة توجبت له الجنة (٢) »
وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال :

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثا وهم ذو عدد ،
فاستقرأهم ، فقرأ كل رجل منهم ما معه من القرآن ، فأتى على رجل من
أحدهم منا فقال :

« ما معك يا فلان ؟ »

قال : معي كذا وكذا وسورة البقرة ..

قال : أمعك سورة البقرة ؟

قال : نعم .

قال : اذهب فأنت أميرهم .

فقال رجل من أشرافهم :

« والله يا رسول الله ، ما منعتني أن أتعلم سورة البقرة إلا خشية

ألا أقوم بها ؟ »

(١) رواه ابن جبان في صحيحه ، ورواه البخاري ، ومسلم ، من حديث أبي
صفيان بنحوه .

(٢) الجامع الصغير للسيوطي

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« تعلموا القرآن فاقروه واقروا به فإن مثل القرآن لمن تعلمه فقرأه وقام به كمثل جراب محشو مسكاً ، يفوح برائحته كل مكان ومثل من تعلمه فتركه وهو في جوفه كمثل جراب وكىء على مسكه » (١)
وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
« لا تجعلوا بيوتكم مقابر ، وإن البيت الذي تقرأ فيه البقر لا يدخله شيطان » (٢) .

آية الكرسي وأواخر البقرة

عن أبي أمامة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت » (٣) .

وعن أبي بن كعب رضى الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« يا أبا المنذر — أتدرى أى آية من كتاب الله معك أعظم ؟ »

قال : قلت : الله ورسوله أعلم .»

(١) رواه الترمذى وقال حسن .

(٢) رواه الترمذى بسند صحيح .

(٣) النسائي وابن حبان بسند صحيح .

قال : يا أبا المنذر : أتدرى أى آية من كتاب الله معك أعظم ؟

قال : قلت : « الله لا إله إلا هو الحى القيوم » •

قال : فغضب في صدرى وقال :

« ليهتك العلم أبا المنذر » (١)

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال :

وكلنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظ زكاة رمضان •

فأتانى آت • فجعل يحشو (٢) من الطعام • فأخذته وقلت : والله

لأرفعنك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم •

قال : لى محتاج وعلى عيال ولى حاجة شديدة •

قال : فخليت عنه • فأصبحت • فقال النبى صلى الله عليه

وسلم :

« يا أبا هريرة — ما فعل أميرك البارحة ؟ »

قال : قلت : يا رسول الله • شكاً حاجة شديدة وعيالا فرحته •

فخليت سبيله • قال : أما إنه قد كذبتك وسيعود • فعرفت أنه

سيعود لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنه سيعود • فرصدته •

فجعل يحشو من الطعام • فأخذته • فقلت : لأرفعنك إلى رسول الله

صلى الله عليه وسلم •

قال : دعنى فإنى محتاج وعلى عيال لا أهود — فرحمته • فخليت

سبيله • فأصبحت فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(١) رواه مسلم وأبو داود •

(٢) يأخذ بكفه •

يا أبا هريرة : ما فعل أسيرك ؟

قلت : يا رسول الله شكنا حاجة شديدة وعيالا فرحته فخله سبيله ، قال : أما إنه قد كذبك وسيعود . فرصدته الثالثة ، فوجده يحثو من الطعام ، فأخذه ، فقلت لأرفعنك إلى رسول الله صلى عليه وسلم ، وهذا آخر ثلاث مرات ، إنك تزعم لا تعود ثم تعود . قال : دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها .

قلت : ما هي ؟

قال : إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي : « الله لا إله إلا هو الحي القيوم » حتى تختم الآية بـ « فإنك لن يزال عليك » الله حافظ ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح ، فخليت سبيله فأصبحت ، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ما فعل أسيرك البارحة » ؟

قلت : يا رسول الله — زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله فخليت سبيله ، قال : ما هي ؟

قلت : قال لي : إذا أويت إلى فراشك ، فاقرأ آية الكرسي أولها حتى تختم : « الله لا إله إلا هو الحي القيوم » وقال لي : لن يزال عليك من الله حافظ ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح — وكأني أحرص شيء على الخير — ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أما إنك قد صدقتك وهو كذوب . « تعلم من تخاطب منذ ثلاث لها يا أبا هريرة ؟ »

قال : لا

قال : ذاك شيطان (١)

وروى مثله عن أبي أيوب الأنصاري مع القول : (٢)
وعن أبي مسعود رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال :

« الآيتان من آخر سورة البقرة ، من قرأهما في ليلة كفتاه » (٣)
وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه
عليه وسلم قال :

« إن الله كتب كتاباً قبل أن يخلق السماوات والأرض بألوف عام ،
أقول منه آيتين ختم بهما سورة البقرة ، ولا يقرآن في دار ثلاث ليال
فيقر بها شيطان » (٤)

وروى مسلم في صحيحه — عن عبد الله (٥) — قال :
« لما أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى به إلى سدة المنى
وهي في السماء السادسة — إليها ينتهي ما يعرج به من الأرض ،
فيقبض منها ، وإليها ينتهي ما يهبط به من فوقها فيقبض منها — قال :

(١) البخاري .

(٢) البخاري والترمذي .

(٣) رواه الأربعة .

(٤) الترمذي بسند حسن .

(٥) أي : ابن مسعود .

« إِذْ يَغْشَى السُّدْرَةَ مَا يَغْشَى » .

قال : فراش من ذهب ... قال : فأعطى رسول الله صلى عليه وسلم ثلاثاً :

« أعطى الصلوات الخمس ، وأعطى عوائل سورة البقر وغفر لمن لم يشرك بالله من أمته شيئاً المقحجات » .

وعن عقبة بن عامر الجهني قال : قال رسول الله صلى عليه وسلم :

« اقرأ الآيتين من آخر سورة البقرة ، فإنني أعطيتها من تحت العرش » (١)

آل عمران

عن أسماء بنت يزيد قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين :

« وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم » وفاتحة آل عمران : « الله لا إله إلا هو الحي القيوم » (٢) .

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال ... قال رسول الله صلى عليه وسلم :

(١) رواه أحمد بإسناد حسن (ابن كثير) .

(٢) رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه وسنده في صحيحه السيوطي .

« اسم الله الأعظم الذى إذا دعى به أجاب فى ثلاث سور من القرآن : فى البقرة ، وآل عمران ، وطه » (١) .

قال هشام بن عمار خطيب دمشق :
أما البقرة (فالله لا إله إلا هو الحى القيوم)
وفى آل عمران (آلم ، الله لا إله إلا هو الحى القيوم)
(وفى طه) وعنت الوجوه للحى القيوم (٢) .

سورة خاصة

عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال فى بنى إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء إنهن من العتاق الأول ، وهن من تлады (٣) .
وكان صلى الله عليه وسلم (لا ينام حتى يقرأ بنى إسرائيل والزمر (٤) .

سورة الكهف

عن البراء قال :

كان رجل يقرأ سورة الكهف وإلى جانبه حصان مربوط بشطنتين ، فتغشته سحابة ، فجعلت تدنو وتدنو ، وجعل فرسه ينفر ، فلما أصبح أتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له ، فقال :

(١) ابن ماجه والطبرانى والحاكم بسند صحيح (سيوطى) والمراد به (الله لا إله إلا هو) أو : الحى القيوم .

(٢) ابن كثير فى تفسير (آية الكرسي) .

(٣) البخارى .

(٤) رواه أحمد والترمذى والحاكم عن عائشة بسند صحيح « سيوطى » .

• تلك السكينة تنزلت للقرآن . (١) •

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
« من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم »

الدجال » (٢)

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال :

« من قرأ الكهف كما أنزلت ، كانت له نوراً يوم القيامة ،
مقامه إلى مكة ، ومن قرأ عشر آيات من آخرها ثم خرج الد-
ج يسقط عليه » (٣) •

وعن أبي سعيد رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه و
قال :

« من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أضاء له من الن-
ور ما بين الجمعتين » •

وعن أبي الدرداء عن الرسول صلى الله عليه وسلم : قال :
« من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف عصم من ف-
الدجال » (٤) •

(١) البخاري .

(٢) رواه مسلم وأبو داود .

(٣) الحاكم وصححه .

(٤) رواه أحمد ، مسلم ، والنسائي .

وعن أبي الدرداء عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال :
 « من قرأ ثلاث آيات من أول الكهف عصم من فتنة الدجال » (١)
 وعن أبي سعيد رضى الله عنه عن الرسول صلى الله عليه وسلم
 قال :

« من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة ، أضواء له من النور
 ما بين الجمعتين » (٢) •

وفي رواية عنه عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال :
 « من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضواء له النور ما بينه وبين
 البيت العتيق » (٣) •

سورة يس

عن معقل بن يسار — رضى الله عنه — أن رسول الله صلى الله
 عليه وسلم قال :

« قلب القرآن يس ، لا يقرأها رجل يريد الله والدار الآخرة
 إلا غفر الله له ، أقرعوها على موتاكم » (٤) •

(١) الترمذى بسند صحيح •

(٢) الحاكم والبيهقى بسند صحيح •

(٣) البيهقى بسند حسن •

(٤) أحمد وأبو داود والنسائى واللفظ له وابن ماجه والحاكم وصحبه •

سورة الدخان

عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
« من قرأ حم الدخان في ليلة جمعة أو يوم جمعة بني الله
في الجنة » (١) .

سورة القنح

عن زيد بن أسلم عن أبيه ، أن رسول الله صلى الله عليه
كان يسير في بعض أسفاره ، وعمر بن الخطاب يسير معه ،
فسأله عمر عن شيء ، فلم يجبه رسول الله صلى الله عليه ،
ثم سأله فلم يجبه ، ثم سأله فلم يجبه ، فقال عمر :
« لكنتك أملك ، نزلت رسول الله صلى الله عليه وسلم
مرات ، كل ذلك لا يجيبك ، قال عمر : فحركت بعيري حتى
أمام الناس ، وخشيت أن ينزل في قرآن ، فما نشبت أن سمعت
يخرج : قال : فقلت : لقد خشيت أن يكون نزل في قرآن
قال :

فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه ، فقال :
« لقد أنزلت على الليلة سورة هي أحب إلي مما طلعت
الشمس » ثم قرأ : « إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً » (٢) .

(١) الطبراني بسند حسن (ص ١٠١) .

(٢) البخاري .

وعن جابر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« كان لا ينام حتى يقرأ : آلم : تتريل السجدة » وتبارك الذى
بيده الملك » (١) »

سورة الملك

عن أبي هريرة - رضى الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
« إن سورة فى القرآن ثلاثون آية ، شفعت لرجل ، حتى غفر
له ، وهى :

« تبارك الذى بيده الملك » (٢) »

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال :

« ضرب بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بجناحه على قبر
وهو لا يعلم ، فإذا فيه إنسان يقرأ سورة « تبارك الذى بيده الملك حتى
ختمها » فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال :

يا رسول الله ، « ضربت جنائى على قبر وأنا لا أحسب أنه قبر ،
فإذا فيه إنسان يقرأ تبارك حتى ختمها » فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم :

« هى المانعة ، هى المنجية تنجيه من عذاب القبر » (٣) »

(١) أحمد والترمذى والنسائى والحاكم بسند صحيح .

(٢) رواه أحمد وأصحابه السنن وابن حبان والحاكم بسند صحيح .

(٣) الترمذى بسند حسن .

سورة التكرير ، وسورة الانفطار ، وسورة الانشقاق ؛
عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله
وسلم : « من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأى العين فليقرأ
« إذا الشمس كورت ، وإذا السماء انفطرت ، وإذا
انشقت » (١)

سورة الزلزلة ، وسورة الكافرون ، وسورة الإخلاص ، وسورة ال
عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله
وسلم :

« إذا زلزلت تعدل نصف القرآن ، وقل يا أيها الكافرون ،
ربع القرآن ، وقل هو الله أحد ، تعدل ثلث القرآن » (٢) .
وعن أنس رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه
قال لرجل من أصحابه :
« هل تزوجت يا فلان ؟ قال : لا والله يا رسول الله . ولا
ما أتزوج به . »

قال : « أليس معك قل هو الله أحد ؟
قال : بلى .
قال : « ثلث القرآن » قال : « أليس معك إذا جاء نصر
والفتح ؟ »

(١) رواه الترمذى وغيره .

(٢) الترمذى والحاكم والبيهقى فى الشعب بسند صحيح (سيوطى) .

قال : بلى .

قال : « ربيع القرآن » ... قال : « أليس معك قبل يا أيها الكافرون ؟ »

قال : بلى .

قال : « ربيع القرآن » ... قال : « أليس معك إذا زلزلت الأرض ؟ »

قال : بلى .

قال : « ربيع القرآن » ... « لزوج ... لزوج » (١) .

سورة الإخلاص

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« احشدوا ، فإنى سأقرأ عليكم ثلث القرآن ، فاحشد من حشد ، ثم أخرج النبى صلى الله عليه وسلم فقرأ : « قل هو الله أحد » ثم دخل ... فقال بعضهم لبعض : إنا نرى هذا خيراً جاءه من السماء ، فذلك الذى أدخله ، ثم أخرج النبى صلى الله عليه وسلم فقال : « إني قلت لكم سأقرأ عليكم ثلث القرآن » ألا إنها تعدل ثلث القرآن » (٢) .

(١) رواه الترمذى عن مسابقة بن رदान من أنس وقال : هذا حديث حسن .

(٢) رواه مسلم ، والترمذى .

وعن عائشة رضي الله عنها ، أن النبي صلى الله عليه و
بعث رجلا على سرية ، وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم
بـ « قل هو الله أحد... » فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه
فقال .

سلوه : لأى شيء يصنع ذلك ؟ فسألوه ، فقال : لأنها
الرحمن ، وأنا أحب أن أقرأ بها . فقال النبي صلى الله عليه وسلم
« أخبروه أن الله يحبه » (١) .

ورواه البخارى أيضاً والترمذى عن أنس أبول منه ،
في آخره :

« فلما أتاهم النبي صلى الله عليه وسلم ، أخبروه الخبر ، ف
« يا فلان : ما يمنعك أن تفعل ما يأمرك به أصحابك ؟
وما يحملك على لزوم هذه السورة في كل ركعة ؟
فقال : إني أحبها ، فقال : « حبك إياها أدخلك الجنة » .

المعوذتان

عن عتبة بن غامر — رضي الله تعالى عنه — قال :
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« ألم تر آيات أنزلت الليلة ، لم ير مثلهن ؟ »

(١) رواه البخارى ومسلم والنسائى .

قل أعوذ برب الفلق ، وقل أعوذ برب الناس (١) .

وعن عبد الله بن حبيب رضى الله عنه قال :

قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم :

اقرأ « قل هو الله أحد » و « المعوذتين » حين تمسى ، وحين تصبح ، ثلاث مرات « به تكفك من كل شئ » (٢) .

وكما بدأنا الحديث عن القرآن بذكر فضله ، فإننا نختمه أيضاً بأحاديث فى فضله :

عن عثمان بن عفان رضى الله عنه — فيما رواه الشيخان — عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » .
وعن أبى سعيد رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يقول الرب تبارك وتعالى :

« من شغله القرآن عن مسألى ، أعطيته أفضل ما أعطى السائلين ، وأفضل كلام الله على سائر الكلام ، كفضل الله على خلقه » (٣) .
وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة ، والذي يقرأ القرآن ويتتبع فيه — وهو عليه شاق — له أجران » .

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه أبو داود والترمذى وقال : حسن صحيح .

(٣) رواه الترمذى .

وفي رواية :

« والذي يقروؤه وهو يشتد عليه له أجران » (١)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« يجيء صاحب القرآن يوم القيامة ، فيقول : يا رب حله فيلبس تاج الكرامة ، ثم يقول : يا رب زده ، فيلبس حلة الكرامة ثم يقول : يا رب ارض عنه ، فيرضى عنه ، فيقال له :

« اقرأ وارق » ويزداد بكل آية حسنة » (٢)

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« من قرأ القرآن فقد استدرج النبوة بين جنبيه ، غر أنه لا يوحى إليه ، لا ينبغي لصاحب القرآن أن يجد مع من وجد ، ولا يجهل مع من جهل ، وفي جوفه كلام الله » (٣)

وعن بريدة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه عليه

ل به ألبس والده يوم القيامة تاجاً

مثل الشمس ، ويكسى والده حلتين لا يقوم لهما

كسبنا هذا فيقال : بأخذ ولدنا القرآن » (٤)

(١) رواه البخاري ومسلم ، واللفظ اه .

(٢) رواه الترمذي وحسنه ، وابن خزيمة ، والحاكم وقال : صحيح الإسناد .

(٣) الحاكم ، وقال صحيح الإسناد .

(٤) الحاكم ، وقال : صحيح على شرط مسلم .

وبعد :

فيقول الله تعالى :

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ، وَشِفَاءٌ لِمَا
فِي الصُّدُورِ ، وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ » (١)

ويقول تعالى :

« أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ ، وَقُرْآنَ الْفَجْرِ ،
إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا .

ومن الليل فتهجد به نافلة لك ، عسى أن يبعثك ربك مقاماً
محموداً ، وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق
وأجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً ، وقل جاء الحق وزهق الباطل ،
إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ، ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة
للمؤمنين ، ولا يريد الظالمين إلا خسارة » (٢)

ويقول تعالى :

« لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْنَاهُ هَارِكًا مُتَصَدِّعًا مِنْ
خَشْيَةِ اللَّهِ ، وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ » (٣)

(١) سورة يونس ، آية : ٥٧ .

(٢) سورة الإسراء ، آية ٧٨١ - ٨٢ .

(٣) سورة الحشر ، آية : ٢١ .

وتأمل في قوله تعالى :

« وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا : ، أَوْ مِنْ وَرَاءِ حُجَّةٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ ، إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ » (١)
 إنه سبحانه يصف نفسه بهذين الوصفين الجليلين : على ، حجة
 هذان الوصفان الجليلان يصف الله سبحانه بهما القرآن الكريم فيقول
 « حم . والكتاب المبين .

إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ .
 وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ »
 وأما بعد :

فقد حاول بعض السذج كأبي عصمة : نوح بن أبي مر
 أن يرغب الناس في القرآن ، فوضع أحاديث عن عكرمة
 ابن عباس في فضائل القرآن سورة سورة : فقليل له في ذلك ؟
 فقال : إني رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن ، واشغ
 بن إسحاق ، فوضعت هذا الحد

— وهي سداجة — لأنه يظن أن كل سورة في القرآن تحتاج
 نص خاص للبحث على قراءتها وبيان فضلها :
 إن آيات كثيرة تمجد القرآن وتبحث على القرآن ، وترشد
 هداية القرآن ككل ، وتدعو إلى تدبره ..

(١) سورة الشورى ، آية : ٥١ .

(٢) تدريب الراوي للسيوطي .

قال تعالى :

« كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا
الْأَلْبَابِ » .

وقال :

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي
الْصُّدُورِ ، وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ » .

وقال :

« وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ »

وقال :

« أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ ، وَلَوْ كَانُوا مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ ،
لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا » .

ولقد حث الله على تلاوته فقال :

« أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ ، وَقُرْآنَ
الْفَجْرِ إِنْ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا »

وقال :

« إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ ، وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ، وَأَنْفَقُوا
مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ، يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ . لِيُوفِّيَهُمْ

أَجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ، إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ . والذي أ
إليك من الكتاب هو الحق مصدقا لما بين يديه .

وقال :

« وَرَتَّلَ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً »

ووردت أحاديث كثيرة تذكر فضل القرآن ككل ، وتداء
تلاوته ، والإكثار منها ، وتذكر آداب التلاوة ، والزمن الذي
أن تم فيه :

عن أبي هريرة رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله
وسلم قال :

« لا حسد إلا في اثنتين : رجل علمه الله القرآن فهو يتلوه
الليل وآتاء النهار ، فنسمعه جار له فقال : ليتنى أوتيت مثل ما
فلان ، فعملت مثل ما يعمل .

ورجل آتاه الله مالا فهو يهلكه في الحق ، فقال رجل : ليتنى أو
مثل ما أوتي فلان ، فعملت مثل ما يعمل » .

وعن سهل بن سعد رضى الله عنه : أن امرأة جاءت رسول
صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله : — جئت لأهب لك نفسي
فنظر إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فصعد النظر إليها وصوبه
ثم طأطأ رأسه ، فلما رأت المرأة أنه لم يقض فيها شيئا جلست ، ف
رجل من أصحابه فقال : يا رسول الله إن لم يكن لك بها حاجة فزوجني

فقال : هل عندك من شيء ؟ فقال لا والله يا رسول الله قال : اذهب إلى أهلك فانظر هل تجد شيئاً ؟ ، فذهب ثم رجع فقال : لا والله يا رسول الله ، ما وجدت شيئاً ، قال : انظر ولو خاتماً من حديد ، فذهب ، ثم رجع فقال : لا والله يا رسول الله ، ولا خاتماً من حديد ، ولكن هذا إزارى . قال سهل : ماله رداء فلها نصفه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما تصنع بازارك ، إن لبسته لم يكن عليها منه شيء ، وإن لبسته لم يكن عليك منه شيء ، فجلس الرجل حتى طال مجلسه ، ثم قام ، فرآه رسول الله صلى الله عليه وسلم مولياً ، فأمر به فدعى ، فلما جاء قال : ماذا معك من القرآن ؟ قال : معى سورة كذا ، وسورة كذا ، علها . قال : أتقروهن عن ظهر قلبك ؟ قال نعم . قال : « اذهب فقد ملكتكها بما معك من القرآن » (١)

وعن عبد الله بن مغفل — رضى الله عنه — قال :

« رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ ، وهو على ناقته أو جملة ، وهي نسيه به ، وهو يقرأ سورة الفتح ، أو من سورة الفتح قراءة لينة ، يقرأ وهو يرجع » (٢)

وعن قتادة قال :

سئل أنس : كيف كانت قراءة النبي صلى الله عليه وسلم ؟

(١) البخارى .

(٢) البخارى .

فقال :

« كانت مدا ، ثم قرأ » بسم الله الرحمن الرحيم « بمد : » بسم الله ،
و بمد بالرحمن ، و بمد بالرحيم (١) ؛

ولقد كان صلى الله عليه وسلم يحب القراءة الحسنة والصوت
الحسن ويشجع على إجادة التلاوة :

لقد قال لأبي موسى الأشعري رضى الله عنه :
« يا أبا موسى : لقد أوتيت مزامرا من مزامير آل داود » (٢)
وقال لعبد الله بن مسعود رضى الله عنه :

« اقرأ على .. فقال : يا رسول الله :: ؟ :: اقرأ عليك وعليك
أنزل ؟ قال : نعم — فقرأ عبد الله سورة النساء حتى أتى إلى هذه الآية ،
« فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى
هَؤُلَاءِ شَهِيدًا »

فقال صلى الله عليه وسلم : حسبك الآن :: فالتفت إليه عبد الله ..
فإذا عيناه تذرفان (٣)

ولقد شغفت الصحابة بالقرآن واستعذبوه وأقبلوا في نهم على
قراءته لقد كان عبد الله بن عمرو يحتم القرآن كل ليلة ، فقال له الرسول
صلى الله عليه وسلم : اقرأ القرآن في كل شهر :: فقال : إني أطيق أكثر
من ذلك فما زال حتى قال له الرسول صلى الله عليه وسلم :

« فاقراه في سبع ولا تزد على ذلك » (١)

ولقد حث الرسول صلى الله عليه وسلم على تعلمه فقال :

« خيركم من تعلم القرآن وعلمه » وفي رواية :

« إن أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه » .. (٢)

وكان يشجع الصبيان على تعلمه ، وكان تعلمه مبعث فخر وإعتزاز حتى إن ابن عباس قال :

« توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ابن عشر سنين ، وقد قرأت المحكم » وفي رواية عن سعيد بن جبير : فقلت : وما المحكم ؟ قال : المفصل » (٣)

ولقد حذر الرسول صلى الله عليه وسلم من لسان القرآن وأمر بتعاهده فقال :

« إنما مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الابل المعقلة ، إن عاهد عليها أمسكها ، وإن أطلقها ذهب » ر

وعن عبد الله قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم :

« بشئ ما لأحدكم أن يقول : نسيت أن كيت وكيت ؟ بل

لسى ، واستذكروا القرآن فإنه أشد تفصيلا (١) من صدور الرجال
من النعم .. (٢)

وقال صلى الله عليه وسلم :

« تعاهدوا القرآن ، فوالذى نفسى بيده هو أشد تفصيلا من الإبل
فى عقلها » : (٣)

ولعل كثرة الثواب فى تلاوته لسرعة تفصيله وفجاءه نسيانه
وإحتياجه الدائم إلى التعاهد ومداومة القراءة .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« اقرءوا القرآن ، فإنه يأتى يوم القيامة شفيحاً لأصحابه » (٤)

وقال :

« يؤتى يوم القيامة بالقرآن وأهله الذين كانوا يعملون به فى الدنيا ،
تقدمه سورة البقرة ، وآل عمران حاجان عن صاحبهما » (٥)

وقال :

« الذى يقرأ القرآن وهو ما هربه ، مع السفرة الكرام والبررة
والذى يقرأ القرآن ويتنعم فيه (١) ، وهو عليه شاق له أجران » (٢)

(١، ٢، ٣) البخارى : تخلصا وذهابا .

(٤، ٥) رواه مسلم .

(١) يتردد فى قراءته ليشتتله عليه .

(٢) متفق عليه .

وقال :

« إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ، ويضع به آخرين » (١)

وقال :

« من قرأ حرفاً من كتاب الله فله حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول : آلم حرف ، ولكن : ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف » (٢)

وقال :

« إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب » (٣)

وقال :

« يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق ، ورتل كما كنت ترتل في الدنيا ، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها » (٤)

لريد أن نقول :

إن توجيه الأنظار إلى آيات وموارد مخصوصة إنما هو للتذكير عليها ، والمداومة على قراءتها ، للإنتفاع بإحصائها من ناحية ، ومن ناحية أخرى : لسهولة حفظها بالنسبة إلى غيرها — خاصة لمن

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه الترمذي ، وقال حسن صحيح .

(٣) رواه الترمذي ، وقال حسن صحيح .

(٤) أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح .

لا يحفظون القرآن — وحفظها طريق إلى تذوق حلاوة القرآن ومحاولة التزود منه قدر الطاقة .

ثم إن زيادة فضلها على غيرها من القرآن لا يؤثر في فضل القرآن، ولا ينقص من الحث عليه ، بل يزيده فضلا وثناء :

إنه كل متكامل ، وكله كريم وعظيم ونافع

إنه كنز ثمين ، ولكن بعضه أثنى وأنفس

فلا حاجة لإختلاق أخبار ولو بقصد صحيح فذلك كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو القائل :

« من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار »

وتخصيص بعضه بهذا التركيز مقصود لحكمة هامة بعضها ما ذكرناه، وكل سورة بل كل آية منه فيها نور ، وفيها ضياء وفيها هدى للمتقين وما أصدق قوله تعالى :

« إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ، وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ

الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ، وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا » .

الفصل الثالث التهليل

والتهليل : هو الذكر بلا اله الا الله

وقد روى الترمذى بسنده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال :

« خير ما قلت أنا والنبيون من قبلى : لا إله إلا الله وحده لا
شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شىء قدير »
وقد أخرج الإمامان — البخارى ومسلم — رضى الله عنهما ، من
حديث أبى هريرة ، نضر الله وجهه ، أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال :

« من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو
على كل شىء قدير ، مائة مرة ، كانت له عدل عشر رقاب ، وكتبت له
مائة حسنة ، ومحبت عنه مائة سيئة ، وكانت له حرزا من الشيطان
يومه ذلك حتى يمسي ، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل
أكثر من ذلك » ،

وروى الإمام البخارى بسنده ، عن عبادة بن الصامت ، عن
النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال :

« من تعار من الليل ، فقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له
له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، سبحان الله ، والحمد
لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي
العظيم ، ثم قال :

« اللهم اغفر لي ، غفر له ، أو دعا استجيب له ، فان توضأ وصلى ،
قبلت صلاته »

ومما وصفت به كلمة : لا إله إلا الله :: أنها : « كلمة التوحيد »
وهي كلمة الإخلاص ، وهي : كلمة التقوى ، وهي : الكلمة الطيبة ،
وهي : دعوة الحق ، وهي : العروة الوثقى ، وهي : ثمن الجنة (١) .
وما من شك في أن كلمة التوحيد إذا قيلت باللسان نابعة من القلب
إنما تمثل التوحيد الخالص ، وكانت تعبيراً صادقاً عن : « قل هو الله
أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد »

وكانت تعبيراً عن :

« إياك نعبد ، وإياك نستعين »

وكانت تحطياً للأصنام النفسية والمادية ، وتطهيراً للإنسان عن

(١) إحياء علوم الدين .

لشرك في جميع ألوانه ، ومن أجل ذلك كانت عمادا من عمد
لأوراد الصوفية :

وعمد الأوراد الصوفية :

١ - إستغفار

٢ - وتوحيد « لا إله إلا الله »

٣ - وصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم :

فهى تمثل ثلث الأوراد الصوفية ، بل تمثل الثلث الأساسى ،
فبدونها لا يتحقق السلوك إلى الله على أى وضع من الأوضاع .

ونختم هذا بحديث الإمام البخارى :

فقد روى عن أبى رضى الله عنه قال :

قلت : يا رسول الله - من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألنى عن هذا الحديث أحد أول
منك : لما رأيت من حرصك على الحديث - أسعد الناس بشفاعى
يوم القيامة من قال :

« لا إله إلا الله » خالصا من قلبه أو نفسه .

وبحديث الحاكم الذى قال عنه إنه صحيح الإسناد :

« أفضل الذكر : لا إله إلا الله ، وأفضل الدعاء : الحمد لله »

ومن كلام الإمام الغزالي :

« نسأل الله تعالى ، أن يجعلنا في الخاتمة من أهل لا إله إلا الله ، حالا ومقالا ، وظاهرا وباطناً ، حتى نودع الدنيا غير ملتفتين إليها ، بل متبرمين بها ومحبين للقاء الله ، فإن من أحب لقاء الله ، أحب الله لقاءه »

الفصل الرابع التسبيح والتحميد والتكبير والحرارة

يقول الله تعالى :

« تسبِّحُ له السَّمَوَاتُ السَّبْعُ والأَرْضُ ومن فِيهِنَّ ، وإن
من شَيْءٍ إِلَّا يسبِّحُ بحمده ، ولكن لا تفقهون تسبيحهم ،
إنه كان حليماً غفوراً » (١)

ويقول سبحانه :

« وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ،
ومن اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ » (٢)

ويقول تعالى :

« وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ .
ومن اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ »

(١) سورة الإسراء ، آية : ٤٤ .

(٢) سورة « ق » ، آية : ٣٩ - ٤٠ .

(٣) سورة الطور ، آية : ٤٨ - ٤٩ .

ويقول :

« فسبح بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ ، إنه كَانَ تَوَّاباً » (١)

والآيات القرآنية الكريمة تقرن التسبيح والتحميد تارة ، وتفردهما أخرى . أما الأحاديث النبوية الشريفة فإنها أيضاً تقرن التسبيح بالحمد تارة ، وتفردهما أخرى ، وتتحدث كثيراً عنهما مع التهليل والتكبير والحوالة ، . ومن أجل ذلك سنتحدث عنها مجمعة مبينين مكانتها في الذكر ، عن طريق الأحاديث الشريفة ..

ولقد أخبر الله سبحانه وتعالى عن أهل الجنة قائلاً :

« دَعَوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ ، وَتَحِيَّاتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ،
وَأَخِرُ دَعَوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ » (٢)

ولقد روى الإمام مسلم بسنده ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« من سبح كل صلاة ثلاثاً وثلاثين ، وحمد ثلاثاً وثلاثين ، وكبر ثلاثاً وثلاثين ، وختم المائة بـلا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، غفرت له ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر » (٣)

(١) سورة النصر ، آية : ٣ .

(٢) سورة يونس ، آية : ١٠ .

(٣) رواه مسلم .

وعن جابر رضى الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
 « أفضل الذكر لا إله إلا الله ، وأفضل الدعاء الحمد لله » (١)
 وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
 « التسبيح نصف الميزان ، والحمد لله تملؤه ، ولا إله إلا الله ليس لها دون الله حجاب حتى تخلص إليه » (٢) .
 وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 « كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان في الميزان ، حبيبتان إلى الرحمن ، سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم » (٣) .
 وعن أبي ذر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 « ألا أخبرك بأحب الكلام إلى الله ؟ قلت : يا رسول الله أخبرني بأحب الكلام إلى الله ، فقال :
 « أحب الكلام إلى الله ، ب »

(١) ابن ماجه والنسائي وابن حبان في صحيحه .

(٢) الترمذى .

(٣) البخارى ومسلم .

(٤) مسلم والنسائي والترمذى .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« من قال : سبحان الله وبحمده ، في يوم مائة مرة ، غفرت له ذنوبه ، وإن كانت مثل زبد البحر » (١) ،

وعن سليمان بن يسار رضى الله عنه ، عن رجل من الأنصار ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« قال نوح لابنه : إني موصيك بوصية وقاصرها لكي لا تنساها : أوصيك باثنتين ، وأنهاك عن اثنتين ، أما اللتان أوصيك بهما فيستبشر الله بهما وصالح خلقه ، وهما يكثران الولوج على الأرض ، أوصيك بلا إله إلا الله : فإن السماوات والأرض لو كانتا حلقة قصمتهما ، ولو كانتا في كفة وزنتهما ... ، وأوصيك بسبحان الله وبحمده : فانهما صلاة الخلق ، وهما يرزق الخلق ، « وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليماً غفوراً » ، وأما اللتان أنهاك عنهما فيحتجب الله منهما وصالح خلقه : أنهاك عن الشرك والكبر » (٢) :

وعن مصعب بن سعد رضى الله عنه قال : حدثني أبي قال :

كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

(١) مسلم والترمذي .

(٢) النسائي والبخاري والحاكم ، وقال صحيح الإسناد .

« أيعجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة ؟
فسأله سائل من جلسائه : كيف يكسب أحدنا ألف حسنة ؟
قال : يسبح مائة تسبيحة فتكتب له ألف حسنة ، أو تحط عنه
ألف خطيئة » (١) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم :

« لأن أقول سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ،
أحب إلى مما طلعت عليه الشمس » (٢) .

وعن حمزة بن جندب رضي الله عنه قال : قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم :

« أحب الكلام إلى الله أربع : سبحان الله ، والحمد لله ،
ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، لا يضرك بأيهن بدأت » (٣) .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم :

« لقيت إبراهيم عليه السلام ،
أقرئ أمتك مني السلام ، وأخبرهم .. »

(١) مسلم والترمذي وصححه ، والنسائي .

(٢) مسلم والترمذي .

(٣) مسلم وابن ماجه .

عذبة الماء ، وأنها قيعان ، وأن غراسها : سبحان الله ، والحمد لله ،
ولا إله إلا الله ، والله أكبر» (١)

وعن أبي ذر رضى الله عنه أن ناسا من أصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم :

يا رسول الله : ذهب أهل الدثور بالأجور ، يصلون كما نصلي ،
ويصومون كما نصوم ، ويتصدقون بفضول أموالهم ، قال :

« أوليس قد جعل الله لكم ما تصدقون به ؟ إن بكل تسبيحة
صدقة ، وكل تكبيرة صدقة ، وكل تحميدة صدقة ، وأمر بالمعروف
صدقة ، ونهى عن منكر صدقة ، وفي بضع أحدكم صدقة » .

قالوا : يا رسول الله — أباي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر ؟
قال : أرأيتم لو وضعها في حرام كان عليه وزر ؟ فكذلك إذا
وضعها في الحلال كان له أجر» (٢) .

وعن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال : قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم :

« استكثروا من الباقيات الصالحات » قيل : « وما هن يا رسول الله ؟

(١) رواه الترمذى .

(٢) مسلم وابن ماجه : (الدثور) بضم الدال وثر - بفتحها - وهو المال الكثير .
(البضع) بضم الموحدة ، وهو الجماع وقيل الفرج نفسه .

قال : التكبير ، والتهليل ، والتسبيح ، والحمد لله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله (١) .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال :
« إذا حدثتكم بحديث آتيناكم بتصديق ذلك في كتاب الله :
إن العبد إذا قال : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ،
والله أكبر ، وتبارك الله ، قبض عليهن ملك فضمنهن تحت جناحه
وصعد بهن ، لا يمر بهن على جمع من الملائكة إلا استغفروا لقائلهن ،
حتى يحيا بهن وجه الرحمن ، ثم تلا عبد الله :

« إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ » (٢) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا » .

قلت : يا رسول الله ، وما رياض الجنة ؟

قال : « المساجد » .

قلت : وما الرتع ؟

قال : « سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر » (٣)

(١) أحمد وأبو يعلى والنسائي .

(٢) المصنف ، وقال صحيح الإسناد .

(٣) رواه الترمذي .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« أول من يدعى إلى الجنة ، الذين يحمدون الله عز وجل في السراء والضراء » (١) »

وعن جويرية رضي الله عنها : أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج من عندها ، ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة ، فقال :

ما زلت على الحال التي فارقتك عليها ؟ قالت : نعم . قال النبي صلى الله عليه وسلم :

« لقد قلت بعدك أربع كلمات ، ثلاث مرات ، لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن »

سبحان الله وبحمده ، عدد خلقه ، ورضاء نفسه ، وزنة عرشه ، ومداد كلماته (٢) »

وعن أبي أيوب رضي الله عنه قال :

قال رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ، ورأى أنه قد هجم من رسول الله صلى الله عليه وسلم على شيء يكرهه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من هو ؟ فإنه لم يقل إلا صواباً » »

(١) ابن أبي الدنيا في البزار والطبراني .

(٢) مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه والترمذي .

فقال الرجل : أنا قلتها يا رسول الله أرجو بها الخير . فقال :
«والذى نفسى بيده لقد رأيت ثلاثة عشر ملكا يبتدرون كلمتك »
أيهم يرفعها إلى الله تبارك وتعالى ؟ » (١) .

وعن أبي موسى رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له :

« قل لا حول ولا قوة إلا بالله » فإنها أكثر من كنوز الجنة » (٢) .
وعن أبي ذر رضى الله عنه قال :

« كنت أمشى خلف النبي صلى الله عليه وسلم فقال لى :

« يا أبا ذر ، ألا أدلك على أكثر من كنوز الجنة ؟

قلت : بلى » قال :

« لا حول ولا قوة إلا بالله » (٣)

ونعود إلى التسبيح من جديد :

يقول الله تعالى فى سورة الإسراء :

« تسبح له السموات السبع والأرض ومن فىهن » وإن من شىء

إلا بسبح بحمده ، ولكن لا تفقهون تسبيحهم ، إنه كان حليماً

عفوياً » (٤) .

(١) ابن أبى الدنيا والطبرانى بإسناد حسن واللفظ له ، والبيهقى .

(٢) ابن ماجه وابن أبى الدنيا وابن حبان فى صحيحه .

(٣) سورة الإسراء ، آية : ٤٤ .

وفي معنى هذه الآية الكريمة يقول الله تعالى في أول سورة الحديد :

« سبح لله ما في السموات والأرض ، وهو العزيز الحكيم » .

ويقول سبحانه في أول سورة الحشر :

« سبح لله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم » .

وافتح الله سورة الصف وسورة الجمعة وسورة التغابن بالأخبار عن تسبيح الكون له سبحانه .

ويقرن علمائنا الأعلام رضى الله عنهم بين التسبيح لله سبحانه وبين السجود له ، وكما أخبر الله سبحانه بأن الكون كله ، جماده ونباته وحيوانه ، وجنه وإنسه وملائكته يسبح له سبحانه ، فإنه أخبر أن الكون أيضاً بما فيه ومن فيه يسجد له تعالى : يقول سبحانه :

« ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض ، والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ، ومن بين الله فما له من مكرم ، إن الله يفعل ما يشاء » (١) .

والواقع أن تسبيح الله تسبيحاً حقيقياً ، والسجود له سجوداً صادقاً ، يرتبطان في وحدة منسجمة فيعبران عن التنزيه القلبي الخالص .

والآيات القرآنية الكثيرة المتعلقة بالتسبيح ، والمتعلقة بالسجود ،
تاتف كلها لتدل دلالة بيّنة على أن الحياة منبثة في جميع أجزاء العالم ،
رية في كل خلية من خلاياه ، وفي كل ذرة من ذراته ،
ويؤيد ذلك الأحاديث التي وردت بتسبيح الحصى ، وحنين
لدع .

يقول الإمام ابن كثير :

« وفي حديث أبي ذر أن النبي صلى الله عليه وسلم ، أخذ في يده
حصيات ، فسمع لمن تسبيح كطين النحل ، وكذا في يد أبي بكر
عمر وعثمان رضي الله عنهم » ،

وهو حديث مشهور في المسانيد .

ولقد قطع الله الطريق على كل من يمارى في تسبيح النبات والجماد
نوله :

« وإن من شيء إلا يسبح بحمده ، ولكن لا تفقهون تسبيحهم »
وتسبيح الله ، تنزيهه سبحانه عن الشريك في الخلق ، وعن الشريك
في القدرة أو الإرادة ، أو المنح ، أو المنع .

إنه التوحيد : توحيد الله بالحمد العام المطلق ، وبالشكر الشامل
التام ، كل ما في الكون يسبح ، والله سبحانه وتعالى يقول :

« أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ
صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ » (١)
ولقد أجمل الله سبحانه تسبيح الجمادات وفصله ، واستعمل في
ذلك صيغة « سبح » وصيغة « تسبح » وصيغة « يسبح » .

فمن صيغ الماضي :

« سبح لله ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم » (٢) .

ومن صيغ المضارع :

« يسبح لله ما في السموات وما في الأرض ، له الملك وله الحمد ،
وهو على كل شيء قدير » (٣) .

ومن أمثلة التفصيل قوله تعالى عن الجبال :

« إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ » (٤) .

والرعد يسبح :

« وَيُسَبِّحُ الرُّعْدُ بِحَمْدِهِ ، وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ هِيفَتِهِ » (٥) .

(١) سورة النور ، آية : ٤١ .

(٢) سورة الحديد ، آية : ١ .

(٣) سورة التغابن ، آية : ١ .

(٤) سورة ص ، آية : ١٨ .

(٥) سورة الرعد ، آية : ١٣ .

وننتقل إلى الكائنات النورانية التي لا يعترها شك في تنزيه الله بحانه ، ومع ذلك فهي تسبح ، ننتقل إلى الملائكة ، يقول تعالى :
 « فَإِنْ أَشْتَكَبُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ،
 هُمْ لَا يَسْئَمُونَ » (١) .

ويقول سبحانه :

« الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ ، يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ
 رَبِّهِمْ ، وَيُؤْمِنُونَ بِهِ ، وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا .. » (٢)

ويقول :

« وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ
 رَبِّهِمْ ، وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ ، وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ » .
 أما الإنسان فقد فصل الله سبحانه وتعالى الأمر بالنسبة إليه تفصيلا
 جميلا :

لقد أمر سبحانه بالتسبيح أرقى المخلوقات وهم الأنبياء والرسل ،
 ولقد قال سبحانه لرسوله الكريم سيدنا محمد صلوات الله وسلامه
 عليه :

(١) سورة فصلت ، آية : ٣٨ .

(٢) سورة غافر ، آية : ٧ .

« فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ » .

« وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ ، وَكَفَى
بِهِ بَلَدْنُوبَ عِبَادِهِ خَيْرًا » .

وَأَمْرُ سُبْحَانِهِ جَمِيعُ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ فَقَالَ :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ، وَسَبِّحُوهُ
بُكْرَةً وَأَصِيلًا » (١) .

وَقَالَ :

« وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ، فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ » (٢) .

وَقَالَ :

« مَسْبُوحُ اسْمِ رَبِّكَ الْأَعْلَى » (٣) .

وَجَعَلَهُ عَلَامَةَ الْإِيمَانِ فَقَالَ :

« إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا ،
وَسَبِّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ » (٤) .

(١) سورة الأحزاب ، آية : ٤٢ .

(٢) سورة الحاقة ، آية : ٥١ ، ٥٢ .

(٣) سورة الأعلى ، آية : ١ .

(٤) سورة السجدة ، آية : ٥١ .

وبين الله سبحانه وتعالى ، انه جعل لبي البشر من الفلك والأنعام
ركنا ثم قال :

« لَتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ، ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ
إِلَيْهِ ، وَتَقُولُوا : سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ
قُرْنَيْنِ » (١) .

والأمر كذلك في كل نعمة :

وهو سبب النجاة :

فذا والنون عليه السلام يقول الله عنه :

« وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا ، فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ ،
فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ
الظَّالِمِينَ ، فَاسْتَجَبْنَا لَهُ ، وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ » (٢) .

ويقول سبحانه عنه :

« فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ، لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ
يُبْعَثُونَ » (٣) .

(١) سورة الزخرف ، آية : ١٣ .

(٢) سورة الأنبياء ، آية : ٨٧ .

(٣) سورة الصافات ، آية : ٤٣ .

ويقول سبحانه عن هؤلاء الذين دمر جنتهم :

« قال أوسطهم أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ، قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ » (١) .

وهو سبب في الرضى والسكينة ، رضى النفس وسكينتها ،
يقول تعالى :

« فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ، وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ
الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ، وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ
لَعَلَّكَ تَرْضَى » (٢) .

وهو من دعاء رجال في بيوت الله ﷻ يقول سبحانه :
« في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ، يسبح له فيها
بالغدو والأصال .

« رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ، وإقام
الصَّلَاةِ ، وإيتاء الزَّكَاةِ ، يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ
وَالْأَبْصَارُ » (٣) .

وهو من دعاء أهل الجنة ، يقول سبحانه :

(١) سورة القلم ، آية : ٢٨ ، ٢٩ .

(٢) سورة طه ، آية : ١٣٠ .

(٣) سورة النور ، آية : ٢٦ ، ٢٧ .

« دَعُواهُمْ فِيهَا سَبْحَانَكَ اللَّهُمَّ ، وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ،
وَأَخِيرَ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ » (١) .

ثم هو في الحقيقة شعار المؤمن إن رضى ، وشعاره إن تعجب ،
وشعاره إن سمع بشأن الله ما لا يليق بجلاله :

« وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ، وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ ، وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا
يُشْرِكُونَ » (٢) .

« وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي
وَأُمَّيَّ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، قَالَ سُبْحَانَكَ ، مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ
مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ » (٣) .

« رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ » (٤) .
« أَوْ يَكُونُ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ ، وَلَنْ نُوْمِنَ
لِرُفْقِكَ حَتَّى تَنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُوهُ ، قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي ، هَلْ
كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا » (٥) .

(١) سورة يونس ، آية : ١٠ .

(٢) سورة الزمر ، آية : ٦٧ .

(٣) سورة المائدة ، آية : ١١٦ .

(٤) سورة آل عمران ، آية : ١٩١ .

(٥) سورة الإسراء ، آية : ٩٣ .

ومن أجل ذلك كله .. أمر الله سبحانه وتعالى به في جميع
الأوقات ، أمر به في العشي والإبكار :
« فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ » واستغفرُ للذنبِك وسبح بحمْدِ
ربِّك بالعشي والإبكار (١)

وفي المساء والصباح :

« فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ »
وبكرة وأصيلا (٢) :
« لِيَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً
وَأَصِيلًا » (٣) ،
وقبل طلوع الشمس وقبل الغروب ، ومن الليل وأدبار
السجود :

« فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ » وسبح بحمْدِ ربِّك قبلَ طلوعِ
الشمس وقبلَ الغروب ، وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ (٤)
وعند القيام ، ومن الليل ، وأدبار النجوم :

(١) سورة طه ، آية : ٥٥ .

(٢) سورة الروم ، آية : ١٧ .

(٣) سورة الفتح ، آية : ٩ .

(٤) سورة ق ، آية : ٢٩ ، ٤٠ .

« وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ، وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ » (١) .

وبعد : فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه :

« من قال : حين يصبح وحين يمسي : سبحان الله وبحمده مائة مرة ، لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به إلا أحد قال مثل ما قال أو زاد » (٢) .

ونعود إلى الحمد أيضا من جديد :

الحمد للذي افتتح الله به الفاتحة ، أي افتتح به القرآن مشير إلى العلة وهي التربية التي من شأنها أن تهذب وأن تسير بالمرء نحو الكمال ، التربية أو السير نحو الكمال لكل عالم ، لجميع العالمين ، الحمد لله رب العالمين .

الحمد لله المربي لجميع العوالم ، السائر بهم نحو الكمال بحسب استعداد كل واستجابته ، ومن أجل ذلك ، بل من أجل كماله سبحانه في نفسه كان له الحمد في السماوات والأرض ،

« وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، عَشْرًا وَحِينَ تُظْهِرُونَ » (٣)

« فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ »

(١) سورة الطور ، آية : ٤٨ ، ٤٩ . (٢) رواه مسلم .
(٣) سورة الروم ، آية : ١٨ . (٤) سورة البجائية ، آية : ٣٦ .

وكان له الحمد في الأولى والآخرة :

« وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ ،
وَلَهُ الْحُكْمُ ، وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ » (١) .

ومن أجمل أنواع الحمد وأرقها ، وأرقاها وأنفسها ، الحمد الذي
يلبث من نفس الإنسان من أجل كمال الله سبحانه .

وقد وردت في القرآن الكريم نماذج لذلك :

يقول تعالى :

« وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ
فِي الْمُلْكِ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلَّةِ وَكَبْرُهُ كَبِيرًا » (٢) .

وبلى ذلك الحمد على نعمة الهداية ، وعلى إنزال مصدرها
ومنبعها : القرآن .

« الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ
صُوجًا » (٣) .

ثم الحمد على النعمة العامة :

(١) سورة القصص : آية : ٧٤ .

(٢) سورة الإسراء : آية : ١١١ . (٣) سورة الكهف : آية : ١ .

« الحمد لله الذى خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور » (١) .

« الحمد لله فاطر السماوات والأرض جاعل الملائكة رؤسًا أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع ، يزيد فى الخلق ما يشاء ، إن الله على كل شئ قدير » (٢) .

ثم الحمد من أجل النعم الخاصة ، والنعم الخاصة كثيرة متعددة :

« وَإِنْ تَعْلَمُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا » (٣) .

وقد أسبغها الله علينا ظاهرة وباطنة :

« أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِى السَّمَاوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ ، وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً » (٤) .

وكلها — بدون استثناء — من الله :

« وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ » (٥) .

(٢) سورة فاطر ، آية : ١ .

(١) سورة الأنعام ، آية : ١ .

(٣) سورة إبراهيم ، آية : ٣٤ .

(٥) سورة النحل ، آية : ١٢ .

(٤) سورة لقمان ، آية : ٢٠ .

من أجل ذلك :

أمر الله سبحانه بالحمد عند كل نعمة :

« فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلِكِ ، فَقُلِ الْحَمْدُ

الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ » (١) .

واستجاب للأمر من استجاب :

« وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا ، وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي

فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ » (٢) .

« الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ ،

إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ » (٣) .

والحمد من دعاء أهل الجنة :

« وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ ،

لَتَبَوَّأَنَّ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ ، فَنُغْنِمُ أَجْرَ الْعَامِلِينَ » (٤) .

« وَنَزَعْنَا مَا فِي صُفُوفِهِمْ مِنْ غُلٍّ ، تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ ،

وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا ، وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّ

هَدَانَا اللَّهُ » (٥) .

(٢) . سورة النمل ، آية : ١٥ .

(١) سورة المؤمنون ، آية : ١٨ .

(٣) سورة إبراهيم ، آية : ٣٩ .

(٥) . سورة الأعراف ، آية : ٤٣ .

(٤) سورة الزمر ، آية : ٧٢ .

« وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور

شكور ^(١) بل هو آخر دعاء أهل الجنة :

« دَعَوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ ، وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا ، سلام ،

وآخر دعوانهم أن الحمد لله رب العالمين ^(٢) »

الحمد لله :

إنها تملأ الميزان كما ورد في حديث أبي مالك الأشعري - فيما رواه

الإمام مسلم - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« الطهور شطر الإيمان ، والحمد لله تملأ الميزان ، وسبحان الله

والحمد لله تملأن أو تملأ ما بين السماوات والأرض » :

وبعد :

فمن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الشيخان قال :

« من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ،

وهو على كل شيء قدير ، في يوم مائة مرة ، كانت له عدل عشر

رقاب ، وكتبت له مائة حسنة ، ومحبت عنه مائة سيئة ، وكانت

له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ، ولم يأت أحد بأفضل مما

جاء به إلا رجل عمل أكثر منه .. »

(٢) سورة يونس : آية ١٠٠ .

(١) سورة طه : آية ٢٤ .

وقال :

« من قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة ، حطت خطاياہ
وإن كانت مثل زبد البحر » (١) »

وأخيراً : فإنه ينبغي - متابعة للمسوق القرآني - أن يلتفت المسلم كل
عمل من أعماله الخيرة بقوله :

« الحمد لله »

الاسلام والاستسلام لله

ويتساءل كثير من الناس فيقولون :

لم كانت ثمرة هذه الكلمات - مع سهولتها ويسرها عظيمة ؟
كان ثوابها جزيلا ؟

لم كان لها كل هذا الفضل ؟

من أجل الإجابة على هذا السؤال نورد حديثين يلغى أن نتدبرهما ،
نأمل ، ونروى في فهم معناهما في عمق :

عن أبي هريرة رضى الله عنه ، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول :

« من قال : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله
أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، قال الله : أسلم عبدي
واستسلم » (١)

وروى الحاكم وقال - صحيح ولا علة له - أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال : لأبي هريرة :

« ألا أعلمك ، أو ألا أدلك على كلمة من شئت العرش من كثرة
الجنة ؟ تقول : لا حول ولا قوة إلا بالله ، فيقول الله :

(١) الحاكم ، وقال : صحيح الإسناد .

أسلم عهدي واستسلم .

والهدف إذن من تردد هذه الكلمات المباركة :

أن يتغلغل معناها في رفق ، في نفس الإنسان ، وفي كيانه كله ،
حتى تقوده إلى الإسلام والاستسلام ، إلى إسلام الوجه له سبحانه ،
وإلى الاستسلام الكلي لجلاله ، إنها توجه إلى هذا وتقود إليه ، وهو
غايتهما .

فتنزيه الله - وهو المعنى لسبحان الله - من أن يكون في حكمته إلا
كل كمال وطهر وصفاء وسمو : إنما هو رضا واستسلام لكل ما
يأتي عنه من أفعال وأقوال هي الحق والخير والجمال .

وحمد الله على جميع النعم الظاهرة والباطنة ، إنما هو إقرار بأن
ما بالإنسان من نعمة ظاهرة أو باطنة فمن الله .

« وَمَا يَكُنْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنْ اللَّهِ » (١)

« أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مِمَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمِمَّا فِي الْأَرْضِ
وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً » (٢)

« وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ، وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ
لَا تُحْصُوهَا » (٣)

(٢) سورة النمل ، آية : ٦٠

(١) سورة النمل ، آية : ٣

(٣) سورة إبراهيم ، آية : ٣٤

ن هذا الذى يتقلب فى نعم الله صباحا ومساء ، ليلا ونهارا ، فيعرفها
بحمد الله عليها ، لا يتأتى له - فى منطق الحق - إلا أن يسير نحو المنعم
بهاجر إليه مسلما مستسلما .

ولا إله إلا الله :خالصة من القلب : ترجح فى الميزان السماوات
والأرض ، لا يخيب قائلها مخلصا .

إنها تحطم للأصنام ، واستعلاء على الدنابا ، وتوجيه الوجه إلى
الكمال المطلق : الله .

والله أكبر بلا موازنة ، الله أكبر بلا مقارنة ، الله أكبر باطلاق ،
والله أكبر يقينا لا شك فيه ، والله أكبر علما لا جهل معه ، والله أكبر
هداية لا يشوبها ضلال ، الله أكبر تقتضى : ففروا إلى الله .

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم : تجريد وإخلاص ، وتوجه
كامل إلى صاحب الحول والقوة اثماراً بأمره ، وانتهاء عما نهى .

والثمررة الكلية لهذه الكلمات المباركة ، إنما هى ، إسلام واستسلام
لله سبحانه ، وهذا هو التدين ، وهذا هو الإسلام الذى مثله رسول
صلى الله عليه وسلم ، فى خضوعه لله ، وتبتهله ، وفى كفاحه فى سبيل
الله ونضاله ، وفى شجاعته فى الحق وتمسكه به ، وفى استعلائه على
الدنابا ، وانغماسه فى الطهر ، وفى عمله ليلا ونهارا ليسير المجتمع -
أفراداً وجماعات - على صراط الله المستقيم : عقيدة وخلقا وتشريعاً .

إن هذه الكلمات المباركة : تصل بالمؤمنين المخلصين إلى أن
يستجيبوا لله ورسوله ، مجاهدين في سبيل الله ورسوله ، إنها تجردهم
من الجبن ، ومن التملق ، والرياء ، والمداينة ، وتخلصهم للحق والخير
والعمل ، جنوداً في سبيل الخير والحق ، آمرين بالمعروف ، ناهين
عن المنكر ، لا يخشون في الله لومة لائم .

ومن أجل ذلك وغيره من ثمار زكية تؤدي إليها هذه الكلمات ،
كان ما ترتب عليها من ثواب جزيل ، ورضوان جم .

الفصل الخامس الصلاة على النبي

ومن الذكر الصلاة على خير المرسلين :
يقول الله تعالى :

« إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
مُتَّبِعُوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا » (١)

والصلاة على النبي : هي نفل الجزء الثاني من الركن الأول من
ركان الإسلام ، وهو شهادة أن محمداً رسول الله .

ولقد روى الإمام مسلم بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص
رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« من صلى على صلاة ، صلى الله عليه بها عشراً » (١)

وعن ابن مسعود رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال :

« أولى الناس بي يوم القيامة ، أكثرهم على صلاة » (٢)

(١) سورة الأحزاب ، آية : ٥٦ - ٢١) رواه مسلم .

(٢) الترمذي ، وقال : حسن .

وعن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« البخل من ذكرت عنده ، فلم يصل علي » (١)

أهمية الصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم

ونتبين أهمية الصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم من الحديثين التاليين :

عن محمد بن يحيى بن حبان ، عن أبيه ، عن جده رضي الله عنه ،
« أن رجلاً قال : يا رسول الله ، أجعل ثلث صلاتي عليك ؟ قال
نعم ، إن شئت ، قال : الثلاثين ؟ قال : نعم ، إن شئت ، قال :
فصلاتي كلها ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« إذا بكفيك الله ما أهمك من أمر دنياك وأخرأك » (٢) »

وعن أبي كعب رضي الله عنه قال :

« كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذهب ربع الليل قام فقال :
« يا أيها الناس : اذكروا الله ، اذكروا الله ، جاءت الراجفة ،
تبعها الرادفة ، جاء الموت بما فيه ، جاء الموت بما فيه » قال أبي بن
كعب :

(١) رواه الترمذي ، وقال : حسن صحيح .

(٢) رواه الطبراني .

فقلت : يا رسول الله ، إني أكثر الصلاة ، فكم أجعل لك من
تي ؟

قال : ما شئت .

قال : قلت : الربع ؟

قال : ما شئت ، وإن زدت فهو خير لك .

قال : فقلت : فالثالث ؟

قال : ما شئت ، فإن زدت فهو خير لك .

قلت : النصف ؟

قال : ما شئت ، وإن زدت فهو خير لك .

قال : أجعل لك صلاتي كلها ؟

قال : إذا تكفي همك ، ويغفر لك ذنبك (١)

وإذا كانت الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مطلوبة
كل وقت ، فإنه صلى الله عليه وسلم ، قد حث عليها في يوم الجمعة
لذات ، وهو يوم مبارك فتزیده الصلاة على الرسول صلى الله عليه
فإن بركة ونوراً .

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : أكثرُوا من الصلاة على يوم الجمعة ، فإنه مشهود تشهده

الملائكة ، وإن أحدا لن يصلي على إلا عرضت على صلاته حتى يفرغ منها » قال : قلت : وبعد الموت ؟ قال :

« إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام » (١)

وعن أوس بن أوس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« من أفضل أيامكم يوم الجمعة : فيه خلق آدم ، وفيه قبض ، وفيه النفخة ، وفيه الصعقة ، فأكثروا على من الصلاة فيه ، فإن صلاتكم معروضة على » قالوا

« يا رسول الله ، وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت .
يعنى بليت ؟ » فقال :

« إن الله عز وجل ، حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء » (٢)
ولقد تفنن الصالحون في صيغ الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إنه ليجد الإنسان مالا يكاد يعد ولا يحصى من هذه الصيغ ، وفيها النور ، وفيها الإشراق والصفاء .

وبعضها خالص في الصلاة قد تمحض لها ، وبعضها تنجس بتعبيراته إلى طلب من الله سبحانه ، كشفاء المريض ، أو قضاء الحاجة ، أو انشراح الصدر . ونذكر الآن نماذج من هذه الصلوات :

(١) رواه ابن ماجه بإسناد حيد .

(٢) رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه وابن حبان والحاكم .

ول ما نذكر من ذلك هي ما أطلق عليها : الصلاة الإبراهيمية :
 اللهم صل على سيدنا محمد ، وعلى آل سيدنا محمد ، كما صليت
 بدنا إبراهيم ، وعلى آل سيدنا إبراهيم ، وبارك على سيدنا محمد ،
 آل سيدنا محمد ، كما باركت على سيدنا إبراهيم ، وعلى آل
 إبراهيم ، في العالمين ، إنك حميد مجيد .

من صيغ الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، ما ذكره شيخنا
 المرحوم الشيخ عبد الفتاح القاضى ، الشاذلى طريفة ، الشبلنجى
 وإقامة ، وقد تلقاها تلقينا فى النوم :

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد عبدك : عدد
 ك ، ورضاء نفسك ، وزنة عرشك ، ومداد كلماتك :
 وصيغة الشيخ الكبير العارف بالله ، سيدى المتبولى ، من أجمل
 بخ وأكلها وهي :

اللهم إني أسألك بك أن تصلى وتسلم على سيدنا محمد وعلى سائر
 نبياء والمرسلين ، وعلى آلهم وصحبهم أجمعين ، وأن تغفر لى ما
 فى ، وتحفظنى فيما بقى .

والصيغة التى تلقيناها عن العارف بالله الشيخ محمد عبد المغنى ،
 فى تلقاها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شفاها هي :

اللهم صل على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ، وسلم تسليما ،
 كن بنا وبالمؤمنين رموفاً رحباً .

ومن الصنيع التي يرددها الصالحون كثيراً :

اللهم صل على سيدنا محمد ، صلاة تنجيننا بها من جميع الأهوال والآفات ، وتقضي لنا بها جميع الحاجات ، وتطهرنا بها من جميع السيئات ، وترفعنا بها عندك أعلى الدرجات ، وتبلغنا بها أقصى الغايات ، من جميع الخيرات في الحياة ، وبعد الممات (١) .

ومن الصنيع :

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد عبدك ووليّك ورسولك النبي الأمي ، وعلى آل محمد ، صلاة تكون لنا رضاء ، ولحقه أداء ، وأعظم الوسيلة ، والمقام المحمود ، الذي وعدته ، وأجزه عنا ، ما هو أهله ، وأجزه أفضل ما جازيت نبياً عن أمته ، وصل على جميع إخوانه من النبيين والصديقين ، والشهداء والصالحين .

اللهم صل على محمد في الأولين ، وصل على محمد في الآخرين ، وصل على محمد إلى يوم الدين .

اللهم صل على روح محمد في الأرواح ، وصل على جسده في الأجساد ، وعلى قبره في القبور ، واجعل شرائف صلواتك ، ونواحي بركاتك ، ورافة تحننك ورضوانك ، على محمد عبدك ونبيك ورسولك وسلم تسليماً كثيراً (٢) .

(١) هذه الصلاة واردة في « الدلائل » .

(٢) هذه الصلاة ذكرها الإمام المارقي شهاب الدين أحمد المهروري في كتابه :

« عوارف المعارف » .

ومنها :

« اللهم صل على سيدنا محمد الذي أشرق به الظلم ، اللهم صل على سيدنا محمد المبعوث بالرحمة لكل الأمم ، اللهم صل على سيدنا محمد المختار للسيادة والرسالة قبل خلق اللوح والقلم ، اللهم صل على سيدنا محمد الموصوف بأفضل الأخلاق والشيم : اللهم صل على سيدنا محمد المخصوص بجوامع الكلم وخواص الحكم ، اللهم صل على سيدنا محمد الذي كان لا تنهك في مجالسه الحرم ، ولا يفضى عن ظلم ، اللهم صل على سيدنا محمد الذي كان إذا مشى تظله الغمامة حيثما يم ، اللهم صل على سيدنا محمد الذي أنى عليه رب العزة في سالف القدم ، اللهم صل على سيدنا محمد الذي صلى عليه الله في محكم كتابه وأمرنا أن نصلى عليه ونسلم ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه ما أنهلت الديم ، وما جرت على المذنبين أذيال الكرم ، وسلم تسليما ، وشرف وكرم » (١) .

ومنها :

« اللهم صل على سيدنا محمد النبي الأمي : الطاهر الذكي ، صلاة تحل بها العقد ، وتفك بها الكروب » (٢)

(١) وهذه الصلاة الحافلة المشجلة هي لسيدى الفاكهاني « صاحب كنات » المحمدر المنير في الصلاة على البشير النذير .

(٢) هذه الصلاة ذكرها الزبيدي في مختصر البخاري في كتابه « نصليات والموالد » وقال عنها بعض الصالحين : إنها هبة في تفريج الكرب .

ومنها :

« اللهم صل على سيدنا محمد السابق للخلق نوره ، ورحمة للعالمين ظهوره ، عدد من مضى من خلقك ومن بقى ، ومن سعد منهم ومن شقى ، صلاة تستغرق العد ، وتحيط بالحد ، صلاة لا غاية لها ، ولا منتهى ، ولا انقضاء ، صلاة دائمة بدوامك ، وعلى آله وصحبه ، وسلم تسليما مثل ذلك » (١)

ومنها :

« اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، صلاة تكون لك رفقاء ، ولحقه أداء ، وأعطه الوسيلة والمقام الذى وعدته » (٢) .
« اللهم إلى أسألك بك ، أن تصلى وتسلم على سيدنا محمد وعلى سائر الأنبياء والمرسلين ، وآلهم وصحبهم أجمعين ، وأن تغفر لى ما مضى ، وتحفظنى فيما بقى » (٣) .

وفى حديث فضالة ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :
« إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد ربه والثناء عليه ، ثم يصلى على النبى ، ثم يدعو بما شاء » (٤) .

(١) ذكر شرح الدلائل ، أن سيدى عبد القادر الجيلانى رضى الله عنه حتم بهذه الصلاة عزه .

(٢) ورد عن هذه الصلاة كما يقول الشيرازى : « أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : من قالها فقد وجهت له شفاعى » .

(٣) وهذه الصلاة لسيدى إبراهيم الميمونى .

(٤) رواه أحمد وصححه الترمذى وابن حبان والحاكم .

وبعد :

فإن الإمام الصاوي يشرح قوله تعالى :

« إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا »

فيقول :

هذه الآية : فيها أعظم دليل على أنه صلى الله عليه وسلم مهبط
الرحمات ، وأفضل الخلق على الإطلاق : إذ الصلاة من الله على
نبيه رحمته المقرونة بالتعظيم ، ومن الله على غير النبي مطلق الرحمة ؛
لقوله تعالى :

« هُوَ الَّذِي يُصَلِّيْ عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ
إِلَى النُّورِ »

فانظر الفرق بين الصلاتين ، والفرق بين المقامين .

ثم يقول في معنى قوله تعالى :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا »

أي ادعوا له بما يليق به . وحكمة صلاة الملائكة والمؤمنين على
النبي تشریفهم بذلك حيث اقتنوا بالله في مطلق الصلاة ، وإظهار
تعظيمه صلى الله عليه وسلم ومكافأة لبعض حقوقه على الخلق ، لأنه
الواسطة العظمى في كل نعمة وصلت لهم ، وحق على من وصلت له

أعمه من شخص أن يكافئه ، فصلاة جميع الخلق عليه مكافئة ما يجب عليهم من حقوقه .

واعلم أن العلماء إتفقوا على وجوب الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم ثم اختلفوا في تعيين الواجب :

فعند مالك : يجب الصلاة والسلام في العمر مرة .

وعند الشافعي : يجب في التشهد الأخير من كل فرض .

وعند غيرهما : يجب في كل مجلس مرة .

وقيل : يجب عند ذكره .

وقيل : يجب الإكثار منها من غير تقييد بعدد .

وبالجملة : فالصلاة على النبي أمرها عظيم ، وفضلها جسيم ، وهي من أفضل الطاعات ، وأجل القربات ، حتى قال بعض العارفين :

« إنها توصل إلى الله تعالى من غير شيخ لأن الشيخ والسند فيها صاحبها ، لأنها تعرض عليه ، ويصلي على المصلي ، بخلاف غيرها من الأذكار ، فلا بد فيها من الشيخ العارف ، وإلا دخلها الشيطان ، ولم ينتفع صاحبها بها » .

وفي الآية اجمع بين الصلاة والسلام ، وصيغ الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم كثيرة لا تحصى ، وأفضلها : ما ذكر فيه لفظ الآل والصحب ، فمن تمسك بأي صيغة منها حصل له الخير العظيم ، (١)

(١) حاشية الصلوات للجلالين : ج ٣ ، ص ٢٢٨ ، ٢٢٩ .

ويتناول الشاعر المعركة ١

إذا كنت في ضيق وهم وفاقة

وأمسيت مكروباً وأصبحت في حرج

فصل على المختار من آل هاشم

كثراً فإن الله بأهلك بالفرج

رقم الايداع / ٥٧٩٩ / ١٩٧٠

الشعب

٩٥ شارع رئيسي القاهرة
الطابق ١٠

الثن ١٠ قروش

	<p>إختصاصيون في الطبوعات العسجلة</p>	<p>دار الشعب تصدر عن مؤسسة صحفية عربية</p>	<p>مطبوعات دار الشعب</p>
<p>الإدارة: ٩٢ شارع قصر العيني بالقاهرة - ت ٣١٨١ • مكتبة دار الشعب - ت ٢٩٩٩١</p>			
<p>رئيس مجلس الإدارة المهندس إبراهيم</p>	<p>رئيس التحرير د. العباس محمود</p>	<p>التوزيع: مكتبة دار الشعب</p>	

١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م

To: www.al-mostafa.com